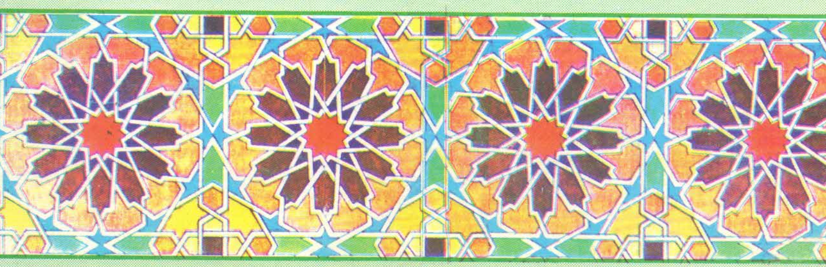



# مذاهب الأدب الغربي

## « رؤية إسلامية »

الدكتور : عبدالباسط بدر
الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية
في المدينة المنورة
عضو رابطة الأدب الإسلامي



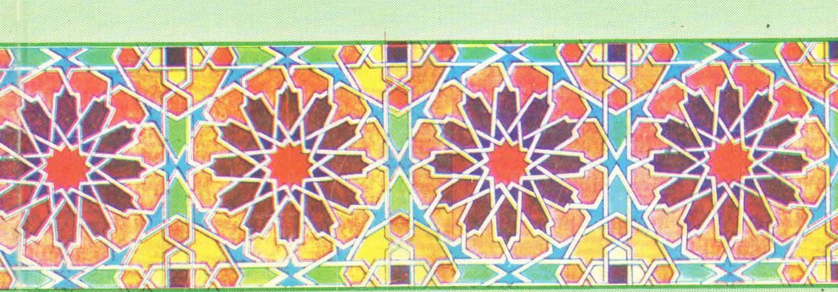
منشورات لجنة مكتبة البيت - شركة الشعاع للنشر
ص.ب ٢٠٩٥٤ الصفاة - الكويت

## المؤلف

د. عبدالباسط بدر ولد بمحافظة حلب ١٩٤٤
حاز على الإجازة في الاداب ١٩٦٧م
والماجستير في الآداب عام ١٩٧٣
والدكتوراه من جامعة عين شمس عام ١٩٧٨.
يعمل أستاذا مساعدا بالجامعة الاسلامية في المدينة المنورة منذ عام ١٩٨٠م
عضو رابطة الأدب الإسلامي

## هذا الكتاب

خلاصة مختصرة لكنها وافية تعرف بالمذاهب الأدبية الغربية الحديثة.
- وهو نظرة إسلامية تحاكم هذه المذاهب بدقة وعدالة.
- ويحتوي على نظرات نقدية فاحصة تجمع ١ - خلقية الإسلام الصافية
٢ - اصول البحث الأدبي القويم.
- وفيه دعوة الى التزام مذهب أدبي إسلامي.



مطبعة الفيصل الاسلامية ت : ٢٤٤٦٧٤٠

# مذاهب الأدب الغربي

## « رؤية إسلامية »

الدكتور عبد الباسط بدر
عضو رابطة الأدب الإسلامي

شعبان ١٤٠٥ هـ
مايو ١٩٨٥م

لجنة مكتبة البيت ـ شركة الشعاع للنشر
ص.ب. : ٢٠٩٥٤ الصفاة - الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم ؟ ﴾

« سورة الملك الآية ٢٢ » .

## تعريف بالمؤلف د « عبد الباسط بدر »

ـ ولد عام ١٩٤٤ بمدينة الباب ـ محافظة حلب ـ في سورية ونشأ في أسرة متدينة وبيئة محافظة .

ـ حصل على شهادة أهلية التعليم عام ١٩٦٣ وبدأ العمل بعدها في مراحل التعليم المختلفة .

ـ حصل على الإجازة في الآداب من قسم اللغة العربية بجامعة دمشق عام ١٩٦٧ م .

ـ حصل على شهادة الماجستير في الآداب ، قسم اللغة العربية من جامعة القاهرة عام ١٩٧٣ م .

ـ حصل على شهادة الدكتوراه في الآداب ، قسم اللغة العربية ، من جامعة عين شمس عام ١٩٧٨ م .

ـ عمل معلمًا في مدارس سورية وليبيا والسعودية .

ـ عمل أستاذا مساعداً في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ عام ١٩٨٠ .

مؤلفاته :

ـ شعر بدوي الجبل : دراسة وتحليل .

ـ قضايا الشعر الجديد في النقد الادبي المعاصر .

ـ مقدمة لمنهج الأدب الإسلامي .

ـ الأدب الإسلامي بين أنصاره وخصومه .

ـ إسلامية الأدب .

ـ ملاحظات حول تعريف الأدب الإسلامي .

فضلاً عن بعض البحوث المنشورة في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومجلة الأمة القطرية ، ومجلة الوعي الاسلامي الكويتية ، وهو منصرف الآن إلى قضايا الأدب الإسلامي ودراساته .

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة الناشر

● الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسل الله ، ومن تبعهم إلى يوم الدين آمين ، وبعد :

في الكتاب السادس من هذه السلسلة ، يقدم لنا المؤلف الفاضل ، خلاصة وافية ـ رغم أنها مختصرة ـ تعرف بالمذاهب الأدبية الغربية الحديثة ، ثم يتبع التعريف بكل مذهب ، برؤيته الإسلامية لهذا المذهب .

والطريف في هذه الدارسة ، أنها تقدم نظرة أدبية إسلامية ، تحكم على هذه المذاهب ، بدقة وعدالة ، بحيث تستفيد من إيجابياتها ، وتحذر من سلبياتها . وهو مما تفتقر إليه الدراسات الأدبية الحديثة ، التي تفصل بين الأدب والأخلاق . ورغم أن مضمون هذا الكتاب أدبي محض ، إلا أنه يدخل في صميم الحياة الثقافية العامة ، التي تتأثر بالرياح المختلفة من حولها . . ولأن المجتمعات العالمية أصبحت

مفتوحة على بعضها ، بوسائل الاتصال الحديثة السريعة النفاذة ، فقد صار حتماً واجباً على المفكرين الإسلاميين ، أن يرصدوا هذه التيارات ويدرسوها . لتكون مجتمعاتهم على بصيرة منها . فتأخذ وتدع حسب منظورها الإلهي الذي لا يخطىء ، ضاربة بعرض الحائط ، كل دعوة خبيثة ، للانجراف وراء بهارج الغرب ، والانحراف بسبب مبادئه الفاسدة ، التي قد تصدر من أي منبهر غافل ، أو متواطىء خبيث .

ولكل هذا ، رأت لجنة مكتبة البيت ، أن الكتاب بشموله لموضوعه ، وسهولته في عرضه . . . ضروري للمكتبة البيتية ، حيث يجد فيه القارىء العادي متعة التعرف إلى أشياء جديدة ، ربما كان غافلاً عنها ، مثلما يجد فيه القارىء المتخصص ، نظرات نقدية فاحصة وسليمة ، تفيده في دراسته ، وتسدد من خطاه ، على درب البحث القويم المستند إلى خلقية الاسلام الصافية .

بقي أن نقول : إن المؤلف ــ حفظه الله ــ ممن اهتموا بدراسة الأدب الإسلامي وتدريسه ، وممن يحاولون الآن ،

تقعيد قواعده ، وتأصيل منهج واضح شامل له ، بالإضافة الى شق الـطريق أمام منهـج نقدي إسـلامي متميـز فـي الأدب الحديث ، كما أن له جهوداً طيبة في هذين المجالين ، من خلال بحوث قيمة منشورة في المجلات الإسلامية ، أو من خلال ندوات ومحاضرات ومؤتمرات ، تقيمها وتديرها وتدعو إليها الجامعات الإسـلامية ، وهـو ــ مع إخـوانه من الـدارسين المهتمين والعاملين ــ بشائر خير لتيار جديد في ساحة الأدب المعاصر ، يسعي إلى بلورة شخصية متميزة للأدب الاسلامي وإننا لنأمل من الله تعالى ، لهذه الجهود الكريمة أن تتنامى باستمرار ، لتثمر جنى طيباً وافراً ، تقدمه للأمة العطشى إلى ارتياد سبيلها المستقيم ، بعد طول تخبط في متاهات الأمم . كما أننا نبارك لهم هذا السعي الموفق بإذن الله ، على طريق الكلمة الخيرة ، والفـائدة المـرجوة لـرفعة الإسـلام ، وعزة المسلمين . . . وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .

الناشر

# تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد خاتم المرسلين ، وعلى رسل الله وأنبيائه أجمعين ، ومن والاهم بإحسان ـ إلى يوم الدين . وبعد :

فمن نواميس الحياة الأساسية أن تتفاعل الأمم والمجتمعات ، تحقيقاً لإحدى وظائف الحياة البشرية التي وضعها الله للناس ﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . . ﴾ وفي التعارف احتكاك ، وفي الاحتكاك تفاعل . !

ومنذ أن تشكل المجتمع الإسلامي الأول عايش المسلمون جماعات بشرية ومجتمعات غير إسلامية ، وتعاملوا معها . . وطبعي أن يفتح التعامل أبواب التأثر المتبادل ، فيستفيد المسلمون من بعض المعطيات المادية والمدنية ، دون أن يتنازلوا

عن شيء من قيمهم العقدية ، ويستفيد الآخرون من المسلمين : سواء من الكنوز الروحية التي ملكوها ، أو من المعطيات المدنية التي سبقوا إليها . وكم أمة رأت في تعاملها مع المسلمين ـ أفراداً أو جماعات ـ ما أغراها بأن تقبل على الإسلام وتثري بكنوزه !

وخلال العصور المتعاقبة كان التفاعل بين المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية خصباً ومعطاء ، وشهدت مراكز الثقافة الكثيرة كدمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة وبخارى ودهلي . . . وغيرها ، وفود تيارات فكرية لا تحصى ، واستطاعت الذهنية الإسلامية أن تهضمها وتتمثل خير ما فيها ، ثم تنتج ، من نفسها الخاص ، ومن كل الروافد التي أخذت منها ما تريد ، حضارة عريقة . ولم تكن تتردد أو تخاف من أي وافد ، فهي قادرة ـ ما ملكت بصيرة الاختيار وقوة الإرادة ـ أن تفحص كل جزء فيه ، وتحكم عليه بما تشاء فتأخذ ما تريد وتدع ما تريد . . ثم ـ وهذا مناط التمييز بين قوة الإرادة وضعفها ـ تضع بصماتها على ما تريده وتصوغه صياغة جديدة تسلخه من جنسيته القديمة .

فليست المشكلة إذن أن تكون نوافذنا مفتوحة أو مغلقة ، ولا أن ننظر بأعيننا إلى ما عند الآخرين أو نعيش في دائـرة العتمة، إنما المشكلة : أن نملك بصيرة الاختيار وقوة الإرادة .

وفي ظني أن أخـطر ما ابتليت بـه مجتمعاتنـا الإسـلاميـة المعاصرة هو غيبة الاختيار البصير وضعف الإرادة ، وخاصة أن الحياة الحديثة تفرض على الشعوب كافة قـدراً أو فى من الاحتكاك والتفاعل ، وتجعل التأثير والتـأثر قـوياً بينهـا . . فخلال قرن واحد من الزمن دخلت إلى مجتمعـاتنا تيـارات وظـواهـر لا تحصى ، فلسفيـة واجتمـاعيــة وفنيـة وأدبيــة وعقدية . . . ولم ترتفع إلا أصـوات قليلة تناقشهـا أو تختار منها ، وكأنما أصبحنا متلقين نفتح ساحاتنا ليعسكر فيها أي شيء . . فكم واحدة من الظواهر فتحنا حقائبها وقومنا ما فيها ؟ وكم واحدة طاردناها ومنعناها أن تسرق مثقفينا ؟ ! . ألم يتحول بعض أدبائنا وفنانينـا إلى ظلال مشـوهة لـلأدباء والفنانين الأوروبيين الضائعين؟ألم يتحول عدد من أبنائنا إلى مسوخ شائهة همها أن تقلد هذا أو ذاك ؟ .

ربما نعتذر لما حدث أن معظم مجتمعاتنا كانت قبل عقود

معصوبة العنين بالحاكم الأجنبي والمستشارين ، مكبلة الإرادة بجنود الاحتلال . ولكن ما عذرنا اليوم وقد غاب الحاكم الاجنبي وخرج جنوده ومستشاروه ؟ .

إن في حياتنا الثقافية المعاصرة قضايا فكرية وفنية وأدبية كثيرة في حاجة إلى إعادة النظر وفتح الملفات . . وقد بدأ عدد من الدارسين ــ كل في ميدان تخصصه ــ مراجعة واعية لقضايا الفكر والفلسفة والعقيدة ، وما زالت قضايا الفن والأدب تنتظر . . ومن هذه القضايا : مذاهب الأدب الغربي ، التي تسللت إلى نسيج أدبنا المعاصر وسكنت في قلوب عدد من الأدباء والنقاد ووجهت ملكاتهم الأدبية والنقدية كما تشاء .

وهذا الكتاب ــ أخي القارىء ــ دعوة متواضعة لحوار ينبغي أن يطول ، نناقش فيه مذاهب الأدب الغربي برؤية إسلامية ، ونستعيد في نهايته بصيرة الاختيار وقوة الإرادة . . وصوتي فيه صوت محاور لم يستأثر بكل الحديث ، فأدب الحوار يقضي بأن تكون البداية كلمات موجزة ، تطوف بعناوين

القضـــايـا وتنبـــه إلى رؤوس المشكــلات . . وأول الغيث قطرة . . . .

أسأل الله أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه ، وأن يسدد خطانا ، ويغفر خطايانا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المدينة المنورة في غرة المحرم ١٤٠٥ هـ .

**د . عبد الباسط بدر**

# لماذا الرؤية الإسلامية ؟

لم يعرف الأدب العربي في تاريخه الطويل . رياحا تقتحم منافذه كالتي هبت عليه في هذا القرن ، فقد تأثر أدباؤنا بألوان شتى من الأدب الشرقي والغربي ، وتلون إنتاجهم بكل لون . حتى الشعر ــ ديوان العرب الاكبر وأعرق أجناسهم الأدبية ــ أحاطت به العواصف ، وتركت بصماتها على كل قطعة من جسده .

ومنذ أن اقتحمت مذاهب الأدب الغربي ساحتنا تباينت ردود الفعل بين مرحب ومتردد ومستنكر ، وكان معظمها عصبياً في قبوله ، عصبياً في رفضه ، ينطلق من أحكام متعجلة أو من خوف صادق يحول دون التصرف بروية ، أو من تردد تجاوزه الزمن .

والآن . . وبعد مرور عقود كثيرة ، هدأت العواصف ،

وتحـول الأمر من ردود فعـل إلى مبادرات لهـا مسوغـاتهـا ، وتغلغلت مذاهب الأدب الغربي في نسيج قسم كبير من أدبنا ، وصار بعض أدبائنا دعاة مخلصين لها . . . يحسن بنا أن نعيد النظر في مواقفنا ، وننظر بروية في مذاهب الأدب الغربي ، آخذين في اعتبارنا أصولنا العقدية التي لايصح أن نتزحزح عنها من جهة ، وضرورة تعاملنا مع معطيات العصر الحديث من موقف كريم من جهة أخرى .

ولا شك أن هذه النظرة قد تأخرت سنين كثيرة ، وأنها في هذا الكتاب ــ قراءة فرديـة ، لا يمكن أن تغطي المـذاهب الأدبية كلها ، ولا يمكن ــ أيضا ــ أن تكون القول الفصل فيها ، ولا بد أن تنضم إليها قراءات وقراءات . . . لتكون الرؤية واضحة والنتائج سليمة ما أمكن ذلك .

وربما يقال ــ وقد قيل من قبل ــ إن مذاهب الأدب الغربي صناعة غير إسلامية أساسا ، فلم القراءة الإسـلامية ؟ . . وهل ستكون شيئا غير الرفض ؟ .

من التسـرع أن نستسلم لمثل هـذه المجابهـة ، فالقضيـة واسعة ومتشابكة لا يصح فيهـا التعميم ، وليس من طبيعة

الإسلام أن يحكم على ظواهر الحياة ـ المادية أو المعنوية ـ بتعسف وتسرع ، والأدب إحدى ظواهر الحياة الإنسانية ، يعايشها وينتجها المسلم وغير المسلم ، وتنتقل آثارها من مجتمع إلى آخر ـ كما تنتقل أي من العادات الاجتماعية أو الأزياء أو الأطعمة ـ باحتكاك الجماعات البشرية ، وبفعل عوامل التأثير والتأثر .

والأدب أيضا مستودع شعوري هائل للأمة ، يحمل خصائصها وتصوراتها وعقائدها وتاريخها ، ويحمل في الوقت نفسه قدراً من التجارب الإنسانية العامة التي تتخطى الحدود ، ولا تعبأ بالفوارق بين الأجناس واللغات ، وخاصة أننا في عصر يهيء للظواهر الإنسانية فرصاً كبيرة للانتقال بين المجتمعات ، وينمي الاتجاه نحو أدب عالمي .

لذا ينبغي أن ننظر إلى القضية بأناة ، آخذين في الاعتبار جوانب هامة هي :

**أولاً** : خاصية الانسياب في الأدب ، وقدرته الفائقة على الانتقال من أمة إلى أخرى دون اعتبار لطبيعة العلاقات بينهما : فهو ينتقل بينها في حالة وجود علاقات طيبة وحسن

جوار ، كما هي الحال عليه في أمم كثيرة متجاورة ، ومن أمثلة ذلك : التأثير والتأثر المتبادل بين الأدبين الإنكليزي والفرنسي ، والألماني والإيطالي ، والهندي والصيني . . الخ .

وينتقل أيضا في حالة وجود علاقات متوترة وحروب مستمرة ، فعندما جهزت أوربا الحملات الصليبية إلى الشرق الإسلامي ، وشحنتها بمشاعر الحقد والغضب هيأت ـــ من حيث لا تدري ـــ فرصة لانتقال آثار كثيرة من الأدب العربي الإسلامي إلى آداب الشعوب الأوربية ، وعندما كانت جيوش إنكلترا وفرنسا تحتل معظم البلاد العربية وتواجه ثورات سكانها بالنار والحديد كان الأدبان الإنكليزي والفرنسي يتسللان من الرومانسيتين الإنكليزية والفرنسية إلى الأدب العربي الحديث .

وينتقل من الأمة القوية إلي الأمة الضعيفة ، أي من الغازية إلى المغزوة ، فقد انتقلت آثار الآداب الأوربية إلى آداب الشعوب الإسلامية كافة إبان الاحتلال الأوربي للبلاد الإسلامية .

ولكن القوة ليست فيصلاً حاسماً في هذه القضية ، فهو ينتقل أيضا من الأمة الضعيفة المغزوة إلى الأمة القوية الغازية ، إذا كان في الأمة الغازية فراغ « حضاري » ، أو كان أدبها دون أدب الأمة المغزوة ، على نحو ما حدث بين اليونان والرومان ، ففي الوقت الذي تحولت فيه ممالك اليونان إلى مستعمرات رومانية ، تسلق الأدب اليوناني أندية الرومان ، وأدهشهم بتفوقه الحضاري ، فأقبلوا عليه ، وتتلمذوا على يديه .

ثانيا : إن الأدب بطبيعته ملتصق بالأمة التي تنتجه ، يحمل خصائصها وعقائدها . وعندما ينتقل من مكان إلى آخر ينقل معه كل ما يحمله من خصائص وعقائد . وإذا استوطن في مجتمع جديد أسكنها معه في نفوس متذوقيه والمعجبين به . فالقصة الوجودية ــ مثلا ــ بنية فنية وفكرية ، تدخر تصورات الوجودي الغربي ، وتحمل غربته وتمزقه وإلحاده ، لأنها حصيلة ظروفه العقائدية والاجتماعية والسياسية ، وعندما تدخل في نسيج قصاص عربي ، ويكتب بمنهجها قصصا عربية ، فسوف تتلون قصصه ــ لا محالة بالظروف والمواقف العقائدية السابقة .

ثالثاً : إن الإسلام الذي ندين به يمد ظلاله إلى ظواهر الحياة كلها ، ولا يعرف الفصل بين الدين والسلوك ، أو الدين والعواطف ، أو الدين والسياسة ، وكل شيء في حياة المسلم ينضوي تحت أحد الأحكام الرئيسية الخمسة : واجب ، مندوب ، حرام ، مكروه ، مباح ، وبذلك يفتح الإسلام نوافذ كثيرة للتعامل مع ما حولنا ، ويقدم لنا مقاييس بسيطة وفعالة تحكم تعاملنا :

فإن كان في هذا الذي سنتعامل معه ما يؤذي عقيدتنا وحياتنا أعرضنا عنه ، أياً كانت المغريات ، وإن لم يكن فيه ما يخدش عقيدتنا وحياتنا فنحن في خيار « المباح » . . . وما أوسعه وأغناه !

رابعاً : إننا في حياتنا اليومية نقف مواقف اختيار من ظواهر الحياة الجديدة ، ونحكم مقاييسنا الخاصة فيها ، فعندما يقدم لنا لون من الطعام لم نطعمه من قبل ، نتذوقه ونحكم عليه بقدر ما يرضى عنه ذوقنا . وعندما نقابل زياً جديدا نوافق عليه أو نرفضه حسب ما قَر في نفوسنا من مواصفات الزي المرضي . وعندما نواجه موقفا يتطلب أن نطبق فيه تقليدا

اجتماعيا لم نعهده من قبل ، نستجيب لهذا التقليد بقدر ما نجده منسجماً مع مفهوماتنا ، وبقدر قابليتنا للتوافق معه ، وقد نطبقه تحت ضغط معين أو واجب مفروض ، ولكننا في أعماقنا نستسيغه .

ولكن عندما نكون أصحاب موقف عقائدي ملتزم ، فإننا سنعطي مقاييسنا العقائدية أكبر مساحة في كفة الميزان ، فنرفض الطعام الجديد ــ وإن كان مذاقه طيباً ــ إذا عرفنا أن فيه لحماً حراماً ، وننكر الزي الجديد إذا رأيناه يكشف ما أمر الله أن يستر ، ونأبى التقليد الاجتماعي إذا وجدنا في عقيدتنا ما لا يرضاه . نفعل ذلك كله بداهة ودون تردد ، بدافع فطري تمته العقيدة .

فإذا كنا نقر بأن الأدب ظاهرة مهمة من ظواهر الحياة الإنسانية ، وأنه ذو طاقة انسيابية هائلة ، وأنه في انتقاله إلينا سوف يحمل معه خصائص فكرية وعقائدية بقدر ما يحمل من قضايا فنية جديدة .

وإذا كنا لا نستطيع أن نغلق نوافذنا في وجه آداب الآخرين ، وليس من الحكمة أن نفعل ذلك حتى لو استطعنا .

وإذا كنا لا نقبل أن تختلط عقائدنا وتصوراتنا بأمشاج غريبة تؤذي فطرتنا . .

إذا : فلا بد لنا من نظرة هادئة فيما يفد إلينا ، ويدخل عقول أدبائنا وقلوب جماهيرنا ، نظرة تحكمنا فيها عقيدة راسخة من جهة ، ورغبة أكيدة في الاستفادة من التجارب الإنسانية الفنية من جهة أخرى . فلا نختنق بضيق الأفق ، ولا نضطرب بعواصف الآخرين ، بل نستفيد من تجاربهم دون أن تتقصف أغصاننا ، بله جذورنا .

والإسلام يدعونا إلى ذلك ، بل يأمرنا به ، لأن الحكمة ضالة المؤمن ، وإغناء التجربة الشخصية بتجارب الآخرين قوة معنوية ليس من الحكمة أن نغفل عنها . ونحن محكومون ، بعقيدتنا أولاً ، وبواقع العصر ثانيا ، أن نتعامل مع الآداب الأخرى . فإما أن نتعامل معها على بصيرة ، ونقف أمامها مزودين بحكمة الإسلام وتجاربه الواسعة ، نأخذ ما نريد ونعرض عما نريد ، وإما أن ندفن رؤوسنا في الرمال ، نرفض كالأطفال ، أو نترك الأمور تجري على هواها ، أيا كانت النتائج والعواقب . والحالتان الأخيرتان لا

تتفقان والوعي الإسلامي المطلوب .

لذلك سنمر في الصفحات التالية ـ خطفاً ـ على أهم المذاهب الأدبية الغربية ، التي شدت ، وما تزال تشد ، عدداً كبيراً من مثقفينا ، وتتسلل الى عقول أدبائنا ، وتلون بعض إنتاجهم ، وننظر فيها نظرة مسلم يظن أنه يرضي وجدانه العقدي ، ولا يغفل عن متطلبات الذوق والثقافة .

والله ولي التوفيق .

قبل أن نبدأ الحديث عن المذاهب الأدبية الغربية لا بد أن أقرر حقيقة تتعلق بعرض هذه المذاهب .

فقد اقتضت طبيعة هذا الكتاب وحجمه المحدود أن أقتصر في عرض كل مذهب على أصوله العـامة التي يلتقي عليهـا معظم أتباعه ، وأن أترك التفصيلات والقضايا التي ينفرد بها أديب أو اثنان . . وأن أوجز في عرض القضايا الفنية لكـل مذهب فأقف عند المهم بل الأهم ، فليس عرضي هذا عرضاً فنياً يتتبع كل ظاهرة فنية في المذهب ويسوق الشاهد والدليل عليها . إنما الهدف الأول أن أقف على القضايا الفكـرية أو الفلسفية ، والتي لها أثر عقدي يلتقي أو يختلف مع قضايـا ومفهومات إسلامية . ذلك أن خطر التأثر بالمذاهب الأدبية لا يكمن ـ غالبا ـ في الجوانب الفنية ، إنما يكمن في الخلفيات الفكرية والفلسفية والعقدية . وثمة مـا يدعـو إلى الاهتمام الكبير بهذه الخلفيات وهو أن المذاهب الأدبية جميعها إنما نبتت

أو تـأثرت في ظهـورها بهـذه التيارات الفكـريـة والفلسفيـة والعقدية ، وأن الذين يتأثرون بها من أدبائنا يحملون ـ بقصد أو دون قصد ـ شيئا من آثار هذه التيارات ، ويضحون في المقابل ـ بما يوازيها أو يخالفها من القيم الإسلامية .

وقد طوفت في عدد من الكتب التي تتحدث عن المذاهب الأدبية الغربية وجمعت فيها خلاصة عامة عن كل مذهب ، ويمكن لمن يريد التعمق في هذه المذاهب ودراسة تفصيلاتها أن يعود إلى المصادر والمراجع المذكورة في آخر هذا الكتاب ويقف على ما يريده .

# جذور المذاهب

يطلق اصطلاح « المذهب الأدبي » للدلالة على مجموعة المبادىء والأسس الفنية والفكرية[1] التي يدعو إليها نقاد ، ويطبقها أدباء في إنتاجهم الأدبي ، وتربط الأدب في شكله ومضمونه بفلسفة معينة ، تنمو في وقت من الأوقات .

لذلك لابد لقيام المذهب الأدبي من :

أولا : وجود فلسفة تحمل قيماً جديدة تأخذ في الانتشار .

ثانيا : وجود ظروف ملائمة تشجع انتشار هذه الفلسفة .

ثالثا : وجود أدباء يتأثرون بالقيم الجديدة ، ويرون فيها

---

(١) من المذاهب الفنية ما يركز على الأسس الفكرية ولا تكون لديه مبادىء فنية جديدة كالواقعية الطبيعية والوجودية ، ومنها ما يبدأ دعوته بالمبادىء الفكرية ثم يشكل مبادئه الفنية تدريجيا ، كالواقعية الاشتراكية .

خدمة جليلة للإنسانية ، فيطبقونها في أدبهم ، ويطورون أدواتهم الفنية لاستيعابها وينتجون أعمالاً أدبية مشحونة بتصورات الفلسفة أو العقيدة الجديدة وقيمها الفكرية .

رابعا : وجود نقاد يتحمسون لهذه القيم ، ويستنبطون قواعدها ، ويتابعون الإنتاج الأدبي بالنقد والتوجيه ، لنشر المبادىء الفنية والفكرية الجديدة .

واصطلاح « المذهب الأدبي » حديث لم تستخدمه الآداب الغربية القديمة ، على الرغم من أنها كانت تطبق أعرافاً وتقاليد أدبية محددة[1] .

ولكي نلمّ بالمذاهب الأدبية الغربية ينبغي أن نتتبع جذورها فنعود إلى حقبة مبكرة من تاريخ الأدب الغربي ، إلى الأدب اليوناني القديم ، الذي يجمع الدارسون على أنه الحلقة الأولى في تاريخ الآداب الغربية على اختلاف لغاتها .

---

(١) من المعروف أن أرسطو استنبط معظم قواعده النقدية الشهيرة من الإنتاج الأدبي الذي درسه ، ويبدو هذا واضحا في الشواهد التي يسوقها في كتابيه ( فن الشعر وفن الخطابة ) .

يخبرنا التاريخ المدوّن لهذا الأدب أن بدايته تعود إلى أكثر من خمسة عشر قرناً قبل الميلاد ، وأن أجناسه قد تكاملت تدريجياً ، ونضجت في القرن الخامس قبل الميلاد ، وكانت تشمل : الخطابة ، والشعر الغنائي ، والشعر الموضوعي الذي يضم : الملحمة والمأساة « التراجيديا » والملهاة « الكوميديا » .

وأما النقد الأدبي فقد استوى على أيدي الفلاسفة المتعاقبين : سقراط ( ٤٦٩ ـ ٣٩٩ ق.م ) وأفلاطون ( ٤٢٩ ـ ٣٤٧ ق.م ) وأرسطو ( ٣٨٤ ـ ٣١٢ق.م ) . وهذا الأخير أشهر نقاد الأدب وأكثرهم تأثيراً في تاريخ النقد كله ، فقد أرسى قواعد النقد الأدبي وقواعد الأجناس الأدبية وسجلها في كتابيه المشهورين : « فن الشعر » و « فن الخطابة » وصارت آراءه وقواعده المدونة مقاييس لتقويم النصوص الأدبية ولتوجيه النقد عدة قرون ، ومازالت بعض آثارها باقية إلى العصر الحديث .

ويرتبط الأدب اليوناني القديم بالعقيدة التي كانت سائدة في ذلك العصر ، ويحمل تصوراتها من خلال تصويره

للعلاقات الاجتماعية بين البشر وارتباطهم بالآلهة اليونانية ، وهي كثيرة تعدُّ بالآلاف ، وتتصارع فيما بينها ، وعلاقاتها مع الانسان مضطربة ، ترضى عليه حيناً وتسخط عليه أحياناً ، وتتحداه وتصارعه ، وتخطف زوجته أو ابنته ، أو تتزوجه وتنجب منه ، أو تقيم معه علاقات داعرة ، ولا تبرأ من الغيره والحقد والمكر والخداع واللصوصية ، ولا تخلو أيضاً من الكرم والنجدة والحب والوفاء ، فتجسّد بذلك النزعات البشرية في هبوطها وابتذالها ، وتبرز العواطف الشريرة مقابل العواطف الخيِّرة ، وتتدخل في حياة الإنسان وشؤونه الصغيرة والكبيرة !

ويظهر ارتباط الأدب اليوناني بهذه التصورات في جميع الأجناس الأدبية ، حتى النقد الأدبي - الذي هو في حقيقته قواعد فنية وموضوعية لتقويم الأدب - يرتبط بها ، لأن « البحث في الأدب ومسائله ارتبط أوثق الارتباط بالنظر في الإنسان ومشكلاته الخلقية والاجتماعية »[1] غير أن المسرح اليوناني أشد ارتباطاً بها وأكثر تجسيداً لتصوراتها .

---

(١) د . محمد غنيمي هلال . النقد الأدبي الحديث . ١٩ . دار نهضة مصر د . ت .

وقد انتقلت القيم الأدبية اليونانية الى الرومان وسادت في آدابهم ، وظلت مسيطرة عليها في أرجاء مملكتها الواسعة ، مع إضافات بسيطة ، إلى أن تمكنت النصرانية من مطاردتها حوالى القرن الخامس بعد الميلاد ، وأخرجتها من ساحة الأدب ، لأنها تمثل الفكر الوثني المنقرض ، وحاولت أن ترسي أصولاً جديدة تستوحيها من الأناجيل وتعاليم الكنيسة . غير أن هذه الأصول مكثت هزيلة لا ترقى إلى قوة الأصول اليونانية . وكانت صرامة الكنيسة وضيق أفقها وسعيها الحثيث لتسخير الأدب ـ شعره ونثره ـ للدعوة إلى النصرانية سبباً في ضعف الأدب والنقد ، فأقفر المسرح من كتابه وجمهوره ، وحاول رجال الكنيسة أن يسدّوا غيابه بمسرحيات دينية يستمدون موضوعاتها من « الكتاب المقدس » ويشاركون في تمثيلها في ساحة الكنيسة ، ولكن مسرحياتهم كانت باردة ومملة غالباً . وتحولت الخطابة إلى مجموعة مواعظ جامدة ، واضطرب الشعر وضعف ، وأصبح لزاماً عليه ألا يخرج عن مراقبة الكنيسة وإلا تعرض شعراؤه للتكفير والاضطهاد ، ومن غرائب ما يذكر في هذا العصر أن البابا ( اينوسون الثالث ) أوعز إلى أمراء شمالي فرنسا

ليجهزوا حملة صليبية تطارد الشعراء « المارقين » ، فسارت الحملة وقتلت عدداً منهم ، وفرّ الناجون إلى إيطاليا ! . لذلك يسمي الدارسون الغربيون ذلك العصر « عصر الظلمات » .

وفي القرن الثالث عشر الميلادي تجمّع في إيطاليا عدد كبير من المثقفين ، وكان بعضهم على اتصال بالثقافة العربية الإسلامية في الأندلس ، فعرفوا بوساطتها أرسطو وكتبه النقدية ، وعندما فتح المسلمون العثمانيون القسطنطينية هاجر رهبانها إلى إيطاليا ، وكانوا يحتكرون كتباً يونانية كثيرة منها كتب ( أرسطو ) فنقلوها معهم ، وسمحوا للمثقفين بالاطلاع عليها ، فتعرف النقاد والدارسون على الأدب اليوناني ونقده ـ ولا سيما كتب أرسطو ـ في أصولها اليونانية ، بعد أن عرفها بعضهم في ترجماتها العربية ، واهتموا بها ، وبدأوا حركة إحياء واسعة ، وأقبل عليها النقاد يستخرجون منها القواعد النقدية والأصول الأدبية . وشرحوا كتاب أرسطو وكتاب هوراس المسمى باسمه أيضا ( فن الشعر ) شروحاً كثيرة ، ودعوا إلى الاستفادة من قواعده ، وإلى استيحاء الأدب اليوناني وخليفته الروماني وإنشاء أدب على مناهجها .

وفي هذا الوقت بدأت النزعة العلمية تنتشر في البلاد الأوروبية تدعمها الفلسفة العقلية التي نضجت على يد ( ديكارت ) وتلاميذه ، وظهر التململ من الكنيسة ، واشتد عندما ظهر موقفها الأحمق من العلم والعلماء ، فقد رفضت المكتشفات العلمية الحديثة وعدتها نوعاً من الكفر واتهمت مكتشفيها بالزندقة وطاردتهم وأحرقت بعضهم ، وكان رد الفعل عند المثقفين أن قطعوا صلتهم بها ، وكفروا بمبادئها ، واتجهوا نحو الإلحاد .

وقد ساعدت هذه الأمور كلها على تجاوز القيم النصرانية السائدة والأدب المرتبط بها ، وتوجّه الأدباء والنقاد نحو التراث اليوناني والروماني وتعلقوا به ، وبحثوا فيه عن قواعد أدبية ونقدية جديدة يستلهمونها ، ويبنون بها ، وبالفلسفة العقلية السائدة ، أصول أول مذهب أدبي غربي هو ( المذهب الكلاسيكي ) .

# المذهب الكلاسيكي [1]

## CLASSICISM

يعد الدارسون القرن السادس عشر الميلادي تاريخاً لظهور المبادىء الكلاسيكية في الأدب ونقده ، والقرنين السابع عشر والثامن عشر تاريخاً لازدهارها ، والقرن التاسع عشر تاريخاً لانسحابها أمام هجوم الرومانسية الساحق .

وقد بدأت بذورها في إيطاليا ـ كما رأينا ـ ولكنها نضجت في

---

(١) هناك آراء عدة في أصل كلمة كلاسيك ، ويبدو أن الكلمة قد مرت بتطورات عدة وكان لها في كل طور معنى خاص : فالأصل اللاتيني الذي أخذت منه Classis يعني الأسطول . ثم اطلقت على القطعة الواحدة من الأسطول . بعدها أصبحت تدل على الوحدة من أي شيء ثم استخدمت للدلالة على الوحدة المدرسية « الفصل » التي تضم مجموعة من الطلاب ، ومنها استعيرت للدلالة على الأدب الجيد ذي الأسلوب الرفيع الذي يدرّس في المدارس ، وأخيراً صارت اسماً للمذهب الأدبي الذي نذكر خصائصه .

فرنسا ، حيث قننت قواعدها ، وأنتج الأدباء أدباً وفق هذه القواعد ، وانتقلت منها إلى إنكلترا وألمانيا ، لذلك تـدرس اصول هذا المذهب في الأدب الكلاسيكي الفـرنسي ، وفي إنتاج أعلامه غالباً .

ويمكن أن نوجز أهم مبادى الكلاسيكية الأدبية في النقاط التالية :

أولا : يمجدّ الكلاسيكيون الأدبين اليوناني والروماني ، ويعدونهما نماذج عليا للأدب الرفيع ، ويدعون إلى استيحائهما وتطبيق القواعد الأدبية والنقدية التي سادت فيهما ، ولا سيما القـواعد التي قـررها ( أرسـطو ) في كتابيـه الشهيرين « فن الشعر » و « فن الخطابة » . مع مراعاة ما يقتضيه العصر من فروق واختلافات .

ثانيا : يدعو الكـلاسيكيون إلى نـزعة عقليـة متشددة ، والعقل عندهم أساس فلسفة الجمال ، والجميل هو مايراه العقل جميلاً ، وهو مصدر القـواعد الأخـلاقية ، ومـا يقرر العقل أنه صالح فهو كذلك ، ويطبقـون هذه النـزعة عـلى العمل الأدبي في ابتكاره وصيـاغته ونقـده . ونتيجة لـذلك

يطالبون الأدباء بما يلي .

أ ـ التقيد بالقواعد والأنظمة التي يقررها النقاد ، كقاعدة فصل الأجناس الأدبية ، وقاعدة الوحدات الثلاث في المسرح . .

ب ـ ضبط الخيال الأدبي وتقييده في حدود تتوافق مع العقل ، ومنعه من الانطلاق إلى عوالم غير مألوفة في آفاق المعرفة الكلاسيكية .

جـ ـ احترام القوانين والأعراف والتقاليد الاجتماعية السائدة وعدم التعرض لها ، أياً كانت مبادئها وآثارها على الناس .

د ـ ربط الأدب بالمبدأ الخلقي وتوظيفه في الغايات التعليمية ، فعلى الأدب أن ينصر الخير على الشر دائماً ، وأن يعلم الناس شيئاً يفيدهم .

ثالثا : التعبير عن العواطف الإنسانية العامة التي يشترك فيها سائر الناس كالحب والحقد والغيرة والحسد والكراهية والتضحية . . . الخ .

رابعا : الاهتمام بالطبقات العليا في المجتمع ، واختيار

موضوعات الأدب من حياة القصور والنبلاء والقادة ، والاستفادة من التاريخ القديم وأحداثه وقلة الاهتمام بالطبقات الشعبية والعامة .

خامسا : العناية الكبرى بالأسلوب ، والحرص على فصاحة اللغة ، وأناقة العبارة ، ومخاطبة جمهور مثقف غالباً .

سادسا : الاهتمام بالمسرح أكثر من الشعر الغنائي ، لقدرته على تجسيد العواطف الإنسانية العامة ، وإمكاناته الواسعة في التوجيه والتعليم وتناسبه مع الاتجاه العقلي الذي يتميز به الكلاسيكيون ، وتكتب المسرحيات الكلاسيكية غالباً شعراً .

ومن أهم أعلام المذهب الكلاسيكي ( راسين ) . وأشهر مسرحياته ( فيدرا ، أندروماك ، الاسكندر ) و ( كورني ) وقد كتب عدة مسرحيات أهمها ( السيد ، أوديب ، هوراس ) و ( موليير ) الذي اشتهر بمسرحياته الكوميدية ( البخيل ، طرطوف ، مدرسة الأزواج ، مدرسة النساء ) و ( لافونتين ) الذي اشتهر بقصصه الشعرية على ألسنة الحيوانات ، وقد تأثر به أحمد شوقي في هذا الباب و ( بوالو ) الشاعر الناقد الذي نظّر قواعد الكلاسيكية في كتابه ( فن

الشعر ) و ( سدني وبن جونسون ) الناقدان الانجليزيان المشهوران بتشددهما في تطبيق القواعد الكلاسيكية على الأدباء .

## الرؤية الإسلامية للكلاسيكية :

تقترن كلمة الكلاسيكية عادة بالقديم ، وبالأسلوب الفخم ، حتى ليُظن أن الكلاسيكية لا تعني سوى اتباع القديم في قواعده وأسلوبه الجزل ، لذلك عرّب بعض الدارسين الكلمة بمعنى : الاتباعية .

والحقيقة أن اتباع القديم والفخامة الأسلوبية هي بعض صفات المذهب الكلاسيكي الغربي كما رأينا . غير أن المذهب له خصائص وأصول فكرية ، كالنزعة العقلية ، وربط الأدب بالأخلاق . . وهي الخصائص التي يمكن أن تمسّ وجداننا العقدي ، سلباً أو ايجاباً ، وتدفعنا إلى أن ننظر فيها برؤية إسلامية ، فالكلاسيكية مذهب متكامل له قواعد فنية ، وله أيضا ـ وهذا هو المهم ـ خلفيات فلسفية ، قد تتفق مع الإسلام وقد تختلف .

لذلك سنقصر رؤيتنا الإسلامية على هذه الخلفيات ، لنقف على ما يمكن أن يستفيد منه المسلم عامة وما ينبغي أن يتجنبه . فأما جزالة الأسلوب ، واتباع قواعد معينة في انتقاء الألفاظ وصياغة العبارات فلا داعي لبحثه ، لأنه من القضايا الأسلوبية ، ومما يدخل في دائرة « المباح » الشاسعة ، والأديب المسلم حرٌ في اختيار ما يشده إليه ذوقه منه ، إذا كان لا يصادم العقيدة .

أما الجوانب التي تستحق البحث برؤية إسلامية ، في الكلاسيكية فهي تلك التي لا تتوافق مع تصوراتنا الإسلامية ، ولا نرضاها في أدب إسلامي ، ونتمنى على الأدباء الإسلاميين أن يتجنبوها ، وهي :

أولا : الارتباط الشديد بالأدبين اليوناني والروماني ، واعتبارهما النموذج الأعلى للأدب ، واستيحائهما في موضوعات ومواقف شتى ، وهذان الأدبان ـ على ما فيهما من تصوير بارع للعواطف الإنسانية ـ مرتبطان بالتصورات الوثنية ، ومع أن الكلاسيكيين لم ينقلوا عنها شخصيات الآلهة الكثيرة ، فقد تأثروا بالروح الوثنية ونظرتها إلى القدر ، وكان

من نتيجة هذا التأثر أن صوروا القدر في صورة ظالم شديد يقوم على الكيد للإنسان وإيذائه ، وهذا مخالف كل المخالفة للتصور الإسلامي ورؤيته الناصعة للقدر .

وفي ميدان النقد الأدبي يعتمد الكلاسيكيون على قواعد ( أرسطو ) وشروحها المتأخرة في تقويم الأدب ورسم مناهجه ، وهي شروح لم تخرجها عن أصولها إلا بقدر ضئيل ، ولم تخلصها من العقيدة اليونانية وتصوراتها .

ثانيا : ينصرف الكلاسيكيون ـ غالباً ـ عن مشكلات الحياة الاجتماعية والسياسية ، في حين أننا نريد من الأديب أن يهتم ـ فيما يهتم به ـ بهذه المشكلات ، ونرى أن الأدب للحياتين ، الدنيا والآخرة .

ثالثا : يوجه الكلاسيكيون اهتمامهم إلى الطبقات العليا في المجتمع ، ويجعلونها محور أدبهم ، ويختارون منها موضوعاتهم وأبطالهم .

ونحن ندعو إلى أدب لا يقتصر على فئة من الناس دون سائرهم ، ونريد أن نخاطبهم جميعاً ، بالأساليب التي

تمتعهم ، وتنمي أذواقهم .

رابعا : يربط الكلاسيكيون الأدب بالمبدأ الخلقي ، وهذا أمر يتوافق مع الاتجاه الإسلامي في عمومه ، ولكن مفهوم المبدأ الخلقي عند الكلاسيكي يختلف اختلافاً كبيراً عن مفهومه الإسلامي . فالأخلاق الفاضلة عندهم هي التي يأخذ بها المجتمع في زمان ومكان محددين . وهذا غير صحيح ، لأن ما يقره مجتمع ما هو نتاج عقل بشري ، تحكمه ظروف محددة ، وهو ـ من ثم ـ قابل للتغير حالما تتغير ظروفه ، وقد علّمنا تاريخ المجتمعات البشرية أن القواعد والأنظمة البشرية غير ثابتة ، ولا يمكن أن تصل إلى الكمال ، لذلك تتبدل بين حقبة وأخرى .

ويبدو خطأ المفهوم الكلاسيكي للأخلاق وخطره عندما يسود الانحراف في مجتمع ما ، أو يتواضع الناس على قضية تتنافى مع الفطرة البشرية ، فبموجب المفهوم الكلاسيكي للأخلاق يتحول هذا الانحراف إلى تقليد محترم ، ومبدأ خلقي يصح ـ بل ينبغي ـ ربط الأدب به .

وقد وقعت الكلاسيكية في هذا المنزلق في فترة نموها الأولى

عندما كان المجتمع الأوروبي يعتمد نظام الطبقات ويميز بين الناس وفقها ، ويخص الطبقات العليا بجميع المكـاسب ، ويجعلها نموذجاً للمثال والفضيلة ، الأمر الذي جعل الأدباء الكلاسيكيين يتوجهون الى هذه الطبقات بأدبهم ولو لم يكونوا منها ، ويقرّون في مسرحياتهم هذا التقسيم ، ويهملون عامة الشعب ـ إلاّ ما كان من الملهاة الساخرة ـ ويعدون فعلهم هذا صحيحاً ومثالياً .

ولو عادت الكلاسيكية اليوم لأقرت مافي المجتمع الأوربي من مفهومات مضطربة عن الفضيلة ، ولعدت ذاك التقسيم الطبقي رذيلة ، لأن المجتمع الأوربي لم يعد يعترف بها !

إن المبـدأ الخلقي في الإسلام ثـابت ، ومنزه عن الخـطأ والبطلان ، لأنه لا يتقيـد بأعـراف المجتمع السـائدة ، ولا يعدها مصدر تشريع الأخلاق ، فـلا تحدده رغبـة بشريـة ـ منفردة أو جماعية ـ في زمان ومكان محددين إنما تقرر أصـوله إرادة سماوية عليا ، وتترك للجماعات البشرية أن تتصرف في فروعه ، على أن لا تخرج عن تلك الأصـول ، لذلـك فإن أعراف المجتمع وأخلاقه تقاس به ، وليس العكس .

# المذهب الرومانسي
## ROMANTICISM[1]

خلال سيطرة الكلاسيكية على الأدب ، ونتيجة لتشددها في تطبيق القواعد المقررة ، ظهرت في أنحاء متفرقة من أوربا دعوات إلى التمرد عليها والتفلت من قيود العقلية الصارمة . وظهرت أعمال أدبية لا تنضبط بقواعدها . وفي أواخر القرن

---

(١) اشتق هذا المصطلح من كلمة ROMAN وكانت تعني في العصور الوسطى : حكاية المغامرات شعراً أو نثراً . وقد دخلت هذه الكلمة الانكليزية بهذه الدلالة ، ثم أصبحت مصطلحاً يدل على مجموعة الصفات التي تتصف بها بعض الأعمال الأدبية كالعاطفية الشديدة والغرابة . ثم أصبحت اسماً لمذهب أدبي يضم هذه الصفات وصفات أخرى ذكرناها في البحث .
انظر تفصيل المصطلح ودلالاته : فان تيغم . الرومانسية في الآداب الأوربية ١/٦ ـ ١٠ .

الثامن عشر كثرت الانتقادات الموجهة إليها ، وتهيأت عوامل أخرى تشجع الاتجاه المناقض لها ، وأهمها عاملان :

**الأول** : ظهور تيار فلسفي يدعو إلى الانطلاق في الفكر والتحلل من جميع الضوابط والمفهومات السابقة ، كالتقاليد الاجتماعية والدين ، ونقض الأسس الفلسفية والاجتماعية التي تقوم على الكلاسيكية ، ويقود هذا التيار فلاسفة منتشرون في أوربا ، أهمهم ( جان جاك روسّو ، وهيجل ، وشاتوبريان ، وشليك ) .

**والثاني** : اضطراب الظروف السياسية والاجتماعية ، وما خلفه هذا الاضطراب من أثر . فقد شهدت أوربا في هذا القرن أحداثاً كبيرة أهمها : الثورة الفرنسية ، والحروب الطاحنة بين دولها ، والصراع على المستعمرات ، وحروب نابليون بونابرت ، ونتجت عن هذه الحروب اضطرابات اجتماعية ، وبلبلة فكرية ، زادت من حدتها موجات الإلحاد المتزايدة . . كل ذلك ترك في الأوربيين قلقاً شديداً ، وشعوراً بالمرارة وخيبة الأمل ، وانتشر فيهم ما يسمى بـ « مرض العصر » وهو إحساس حاد بالكآبة والإحباط ، وضيق شديد

من الواقع ، وبحث عن مهرب منه .

وقد تفاوتت آثار هذا الشعور بين بلد أوربي وآخر بتفاوت ظروف كل منهما ، واختلفت آثارها في آدابها ، فظهرت رومانسيات مختلفة ، ولكنها تجتمع على عدد من الخصائص المشتركة ، تجعل من الممكن أن ننظر إلى رومانسية غربية موحّدة ، نوجز مبادئها الأساسية فيما يلي :

أولا : رفض المبادىء الكلاسيكية في الأدب عامة ومخالفتها . ومن ذلك .

أ ـ رفض تفوق الأدبين اليوناني والروماني أو اعتبارهما النموذج الأعلى للأدب ، والدعوة إلى الاهتمام بالآداب القومية واستيحاء التراث المحلي .

ب ـ رفض الانضباط والتقيد بالقواعد المقررة كقاعدة الوحدات الثلاث وقاعدة منع الفعل العنيف في المسرح وقاعدة فصل الأجناس الأدبية .

جـ ـ رفض النزعة العقلية وما يترتب عليها .

د ـ رفض الأسلوب الكلاسيكي المتأنق ، والدعوة إلى الأسلوب السهل المسترسل .

هـ ـ رفض ارتباط الأدب بالمبدأ الخلقي .

ثانيا : ربط الأدب بالعاطفة والوجدان ، وإعلاء المشاعر الذاتية والذوق الفردي ، ومصدر الجمال هو الذوق وليس العقل .

ثالثا : تعظيم شأن الخيال وإطلاق حريته في ارتياد الآفاق التي يريدها .

رابعا : الهروب من الواقع ومشكلاته السياسية والاجتماعية .

خامسا : الافتتان بالطبيعة والعوالم الغريبة والأحلام .

سادسا : التعلق بالحزن والتلذذ بالألم ، واعتباره فلسفة تطهّر النفس ، ونشر الإحساس بالكآبة « مرض العصر » !

سابعا : التعلق بمعتقد « تأليهي » غامض ، يجعل محور الديانة الأساسي هو العاطفة والقلب الطيب ، ويقلل من أهمية « الإثم » الفردي ، ويخفف المسؤولية الفردية ، ويحملها للمجتمع . وقد كثرت لهذا السبب في أدبهم صور البغي الفاضلة واللص الشريف والمجرم الطيب السريرة .

ومن أشهر الأدباء الرومانسيين ( لامرتين والفريد دي موسيه وفيكتور هوغو ) في فرنسا و ( كولردج وورد زورث

وولتر سكوت ) في انكلترا والأخوان ( شليجل وهوفمان ) في ألمانيا .

## الرؤية الإسلامية للرومانسية

أولا : يعيش الرومانسي ـ غالبا ـ حالة من « فقد التوازن » ، وتنقصه الدعامة الدينية والفكرية والاجتماعية ، لأنه يغرق في ذاتيته ، ويعول على العواطف ، لذلك يعجز في أكثر الأحوال عن التكيف مع مجتمعه ، ويهيم على وجهه في بحر الشك والحيرة والكآبة .

وهذه حالة لا نرضاها للفرد المسلم ، وإذا وقع فيها لبرهة من الزمن ، فلا يمكن أن يستمر عليها ، لأنه يملك رصيداً عقدياً كبيراً ، يقدم له الدعامة الفكرية ومقاييس التعامل مع المجتمع ، وأهم ما يقدمه له الطمأنينة الكبيرة التي تحفظه من الحيرة والشك .

ثانيا : إن الرؤية الإسلامية للأدب لا تقبل أن يصطبغ دائماً بالحزن والكآبة ، والآلام الرومانسية « مرض العصر » لا تنسجم مع الشخصية الإسلامية ، والادعاء بأن الحزن فلسفة

في الحياة ومطهرة للنفس أمر غير مقبول ، والحزن دون سبب مرفوض في الإسلام .

فالحزن في عرف المسلمين أزمة ، قد تكون لها إيجابياتها ، ولكن لا يصح أن يتحول إلى فلسفة وسلوك أياً كانت الإيجابيات ، والكآبة حالة نفسية عارضة ، تسيطر على الفرد في وقت من الأوقات ، ولسبب من الأسباب ، غير أن المسلم مدعوّ إلى مواجهة ظروفه بشجاعة ، ومدعوّ إلى التسليم لقضاء الله من جهة ، وتلمّس الأسباب ـ من جهة أخرى ـ للخروج من الأزمات ، سواء أكانت طغيان حاكم ، أم نظاماً اجتماعاً فاسداً ، أم إخفاقاً عاطفيا أم ضائقة مالية . . الخ والرسول صلى الله عليه وسلم نموذج عال لمواجهة الظروف الصعبة ، كانت نفسه تمتلىء بالحزن والألم لما يواجهه من عنت المشركين ، فيتنزل عليه الوحي مرة بعد مرة ﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾[1] ﴿ ولا يحزنك قولهم ، إن العزة لله جميعا ﴾[2] ﴿ ومن كفر فلا يحزنك

---

(١) آل عمران ١٧٦ .

(٢) يونس ٦٥ .

كفره ﴾[1] ﴿ فلا يحزنك قولهم ، إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾[2] ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾[3]. . . الخ .

والرسول صلى الله عليه وسلم ينهى عن التشاؤم والتطير ، وعمر بن الخطاب يرى أحد المسلمين كئيباً متذللاً فينهره ، وتاريخ المسلمين ممتلىء بالفواجع والمحزنات ولكن دينهم لا يرضى لهم أن يستسلموا للحزن . صحيح أن حالات من الاستغراق في الحزن والكآبة قد ظهرت بين بعض المسلمين نتيجة للتأمل أو التعبد أو التصوف ، ومع أن شجنهم هذا لا يقارن بالحزن الرومانسي فإن الفقهاء قد أنكروا عليهم كآبتهم ، وطالبوهم بأن يخرجوا منها إلى سلوك متزن في الحياة[4].

---

(١) لقمان ٢٣ .

(٢) يس ٧٦ .

(٣) فاطر ٨ .

(٤) انظر مثلا ما أورده الأمام ابن الجوزي في نقد مسالك الزهاد والصوفية : في البابين التاسع والعاشر من كتاب ( تلبيس إبليس ) ص ١٥٠ ـ ٣٧٥ ط مكتبة الدعوة الإسلامية بالقاهرة ١٣٦٨هـ .

إن الإسلام لا يرفض الحـزن العارض ولا ينكـره ، ولا يرفض التعبير عنه بالأدب وغيره ، ولكنه يرفض الاستغراق فيه ، ويرفض اتخاذه وسيلة أو سلوكاً في الحياة .

ثالثا : يـأبى الرومـانسيون ربط الأدب بـالمبدأ الخلقي ، وهذا يخالف وجهة النظر الإسلامية في الأدب ، لأن الأدب إذا أهمل الاخلاق ولم يراعها فقد يتحول إلى استجابة آلية للغرائز والعواطف الجامحة ، ويصبح أداة خـطرة تزوّق الانحـراف وتجمّل الخطيئة .

وإذا سلمنا بأن الأدب ليس أداة دعـاية لـلأخلاق فـإننا نرفض ـ من ثم ـ أن يكون أداة دعاية للانحراف والرذيلة ، وخصماً معانداً للأخلاق والعقيدة .

رابعا : ينشغل معظم الرومانسيين بذواتهم ويستغرقـون فيها وينصرفون عن قضايا الأمة الاجتماعية والسياسية ، وقد يكتفي بعضهم بإعلانه الرفض والتمرد على القيم السائدة .

ونحن نريد من الأديب المسلم أن يستوعب في أدبه قضايا الحياة والأمة وأن يثور على القيم الجاهلية ويدعو إلى قيم نابعة

من الإسلام ذاته . ولا نريد له أن يكون « نرجسياً » لا يعرف إلا ذاته .

خامسا : لا نقبل في الإسلام المعتقد العاطفي الذي يهوّن الإثم ويخفف المسؤولية الفردية عن الآثم أو يسقطها . فالإسلام عقيدة وسلوك ولا قيمة لطيب السريرة إذا كان السلوك خلافها ، والفرد الذي يعيش هذه الازدواجية في حاجة إلى علاج ليتوافق سلوكه مع سريرته الطيبة ـ إن كانت كذلك .

ومع يقيننا بأن للظروف المحيطة بالفرد أثراً في تشجيعه على الجريمة ، وأن البيئة المضطربة ، أو الفاسدة ، تدفع أبناءها إلى الشر والخطأ ، فإن الرؤية الإسلامية للفطرة الإنسانية لا تعفي المخطىء من جريمته إلا إذا بلغت الضغوط الموجهة إليه حدّ الإكراه وليس في الإسلام ـ ما يسوغ الجريمة ويعفي المجرم من مسؤوليته مادام يملك أهلية التصرف[1] . وأما الظروف المحيطة به ، والضغوط الاجتماعية المنصبة عليه فقد عالجها

---

(١) قال تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة » المدثر ٣٨ .

الإسلام بحكمة كبيرة ، فأسقط صفة الجريمة عن الفعل الذي يرتكبه المكره ( كأخذ الطعام من مال الغير في حالة الإعسار وخوف الهلاك ، وقد أوقف عمر رضي الله عنه حد القطع عام المجاعة ) ، ووجه المسلمين إلى مواجهة الضغوط التي تحيط بهم فيما دون الإكراه ، حفاظاً على نقائهم ، ورتب أحوال معيشتهم إذا كانوا في مجتمع جاهلي ، وأمر الدعاة باستثارة الجانب الخيّر في الفرد مهما كان مخطئاً . تشجيعاً له على الانتقال الى حياة نظيفة ، فباب التوبة لا يغلق أبداً من جهة ، والمسؤولية الفردية لا تسقط من جهة أخرى . وبهذه المعادلة الدقيقة تستوي حياة الناس .

# المذهب الواقعي

## REALISM

ترتبط نشأة المذهب الواقعي في الأدب بانتشار الفلسفات : الوضعية[1] والتجريبية [2] والمادية الجدلية [3] في أوروبا .

---

(١) الفلسفة الوضعية : فلسفة انتشرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر في فرنسا ، ومنها انتقلت إلى عدد من الدول الأوروبية الأخرى . ورائدها الفيلسوف الفرنسي ( أوجست كونت ) .

وللوضعية تصور خاص للحياة ، تدعو فيه الى رفض كل ما هو غيبي والاقتصار على ظواهر العالم المحسوسة ، ودراسة هذه الظواهر لاكتشافها والوصول الى قوانينها . وتقرر أن التطور العقلي هو السبب الرئيسي للتطور الاجتماعي ، وأن المجتمع البشري مر بمراحل تطور متوالية هي : اللاهوتية ثم الميتافيزيقية ثم العلمية في المرحلة الاخيرة يكتمل تطور الإنسانية ، إذا يصبح رجال العلم الوضعي هم القوة الروحية المهيمنة على المجتمع ، وينتهي دور الدين تماماً .

أنظر الموسوعة الفلسفية المختصرة ـ ترجمة د. عبد الرحمن بدوي ص ٣٦٦ . مكتبة الأنجلو بالقاهرة ١٩٦٤ .

---

(٢) الفلسفة التجريبية : تلتقي مع الوضعية في رفض الغيبيات ، وفي الدعوة إلى تحكيم الملاحظة والتجربة والاستنتاج في الحياة البشرية والقيم الإنسانية ، رائدها الفيلسوف ( فرنسيس بيكون ) وأهم أعلامها الذين طوروها ( لوك وباركلي وهيوم وجون ستيوارت مل ) . ويدعو التجريبيون إلى التعلق بالعلم ، وإحلاله محل الأديان في وضع القواعد الخلقية وجعله المصدر الوحيد للمعرفة والسلوك ويدعون ايضاً إلى تطبيق قواعده ومناهجه في علم النفس والاجتماع والفن والأدب . انظر المصدر السابق ص ١١١ .

(٣) الفلسفة المادية الجدلية : كانت في الأصل وجهة نظر فلسفية اعتنقها كل من كارل ماركس وفردريك انجلز ، وقد أصبحت في الوقت الحاضر العقيدة الرسمية للشيوعية . ومن مفهوماتها الاساسية المهمة .

أولا : الطبيعة هي المبدأ الأول .

ثانيا : الوجود الحقيقي هو الوجود المادي ، وليس وراءه أي وجود أخر ، وليس بعد هذه الحياة شيء !!

ثالثا : القيم العقلية انبثقت من العلاقات المادية بين الناس .

رابعا : الوجود عملية تتطور فيها الظواهر البسيطة وتخرج منها ـ آليا ـ ظواهر أخرى .

خامسا : توجد قوانين تحكم عمليات التطور والنمو ، وهي قوانين طبيعية محضة . انظر : المصدر السابق ص ٢٨٦ .

وقد امتد تأثير هذه الفلسفات إلى الفنون والآداب ، وظهرت دعوات إلى الاستفادة من معطيات العلم الحديث فيهما ، والإهتمام بالواقع وتطويره وتطبيق النظريات العلمية في إصلاحه ، وفي فهم الإنسان وطبائعه وتوجيه الفن والأدب الى خدمة المجتمع وتقوية روح التعاون بين الناس .

ونتيجة لذلك اهتم عدد من الأدباء بتصوير الحياة الاجتماعية ، وبالطبقات الدنيا التي أعرض عنها الكلاسيكيون ، ونسيها الرومانسيون . فتكوّن من أعمالهم الأدبية ، ومن الدراسات النقدية التي نشأت حولها ما سمي بالمذهب الواقعي الأدبي .

ويتفق رواد المذهب في مبادىء رئيسية محددة ، ويختلفون في مبادىء أخرى كثيرة ، الأمر الذي جعل الواقعية تتشعب إلى واقعيات عدة أهمها : الواقعية الانتقادية ، والواقعية الطبيعية ، والواقعية الاشتراكية .

الواقعية الانتقادية :

تهتم هذه الواقعية بقضايا المجتمع ومشكلاته ، وتركز اهتمامها بشكل خاص على جوانب الفساد والشر والجريمة ، فهي تنتقده بإظهار تناقضاته وعيوبه وعرضها على الناس .

وتميل هذه الـواقعية إلى التشـاؤم ، وتعتبر الشـر عنصراً أصيلاً في الحياة لذلك تبحث عنه وتجعله محور العمل الأدبي ، وتتخذ مادتها من واقع الحياة الاجتماعية ، وتختار الأحداث والشخصيات وترتبها وفق مقتضيات العمل الأدبي .

وتعد « القصة » مجال الواقعيـة الانتقاديـة الأكبر وتليهـا المسـرحية . فمعـظم إنتاج الـواقعيـين الانتقـاديـين قصص وروايات ومسرحيات . ومن أشهر قصاصيها الأديب الفرنسي ( بلزاك ) الذي كتب روايته الشهيرة ( الملهاة الإنسانية ) . في ٩٤ جـزءا وصـور فيهـا الحيـاة الفـرنسيـة مـا بـين عـامي ١٨٢٩ ـــ ١٨٤٨ م تصـويراً دقيقـاً . ومنهم أيضا ( شـارلز ديكنز وتولستوي ودستويوفسكي وأبسن وإرنست همنغواي ) وغيرهم .

**الواقعية الطبيعية .**

تتفق هذه الواقعية مع الواقعية الانتقادية في جميع مبادئها ، وتزيد عليها في تأثرها الشديد بالنظريات العلمية ، ودعوتها إلى تطبيقها في المجـالات الإنسانيـة ، وإظهارهـا في العمل الأدبي .

فالإنسان في تصور هذه الواقعية ـــ حيوان تسيره غرائزه

وحاجاته العضوية ، لذلك فإن سلوكه وفكره ومشاعره هي نتائج حتمية لبنيته العضوية ولما تقوله قوانين الوراثة . وأما حياته الشعورية والعقلية فظاهرة طفيلية تتسلق على حقيقته العضوية . وكل شيء في الإنسان يمكن تحليله ورده إلى حالته الجسمية وإفرازات غدده . وبهذا التصور تفهم الواقعية الطبيعية الإنسان ، والحياة ، وتعرضهما في الأدب .

ويعد القصاص ( إميل زولا ) رائد هذه الواقعية ، وقد كتب قصته الشهيرة ( الحيوان البشري ) ليجسد مبادئها . وليطبق نظريات ( دارون ) في التطور و( مندل ) في الوراثة و ( كلود برنارد ) في الطب على أبطاله ، ويثبت أن سلوك الإنسان وفكره ومشاعره نتائج طبعية لما تقوله هذه النظريات .

ومن كتابها أيضا ( فلوبير ) صاحب القصة المشهورة ( مدام بوفاري ) .

**الواقعية الاشتراكية :**

تجسد هذه الواقعية الرؤية الماركسية للأدب ، وتحمل مبادىء الفلسفة المادية الجدلية التي تقوم عليها الشيوعية . ويرى أنصارها أن الأدب مبني على النشاط الاقتصادي في

نشأته ونموه وتطوره ، وأنه يؤثر في المجتمع بقوته الخاصة . لـذلك ينبغي تـوظيفه في خـدمة المجتمـع وفق المفهـومـات الماركسية .

وتقضي هذه المفهومات أن يهتم بالطبقات الدنيا ، ولا سيما طبقات العمال والفلاحين ، وأن يصور الصراع الطبقي بينهم وبـين الـرأسمـاليـين والبـرجـوازيـين ويجعـل الـرأسمـاليـة والبرجوازيـة مصدر الشـرور في الحياة ، فيـدينهما ويكشف عيوبهما ، وأن ينتصر للعمال والفلاحين ، ويـظهر جـوانب الخير والإبداع ، ويبشر بانتصارهم وبغلبة اشتراكيتهم ، ومن هذه الزاوية يعد الواقعيون الاشتـراكيون مـذهبهم متفائـلا ومرجحاً لجانب الخير ، ويتصورون أن ماركسيتهم ستحكم العالم وتحل تناقضاته ، ويطالبون الأدباء أن يبثوا هذا التصور في أعمالهم الأدبية .

وبـدهي أنهم يرفضـون أية تصـورات ترتبط بـالعقـائـد السماوية ، لأنهم يرفضون العقائد السماوية ذاتها ، ويعدونها تخلفا ورجعية ، ويصورون الإلحاد تقدما وتنوراً ، وينشرون هذا التصور في قصصهم ومسرحياتهم وقصائدهم .

وكـان ( مكسيم جوركي ) أول من استخـدم اصـطلاح

الواقعية الاشتراكية في كتاباته ثم انتشر المصطلح والمذهب في انحاء مختلفة من العالم ، وقرر الاتحاد السوفيتي والصين وبعض الدول الشيوعية الأخرى اعتباره المذهب الرسمي للأدب فيها .

وكان ميدان هذا المذهب القصة ، ثم دخل الى المسرحية ، وأخيرا إلى الشعر ، وعم الأجناس الأدبية كلها ، وطالب الأدباء أن يلتزموا في كتاباتهم بالمضمون والأهداف الاشتراكية والتفت رواده إلى الشكل وبدؤوا يصوغون نظريتهم الجمالية المستقلة .

ومن أشهر أدبائهم : ( مكسيم جوركي وشولخوف وماياكوفسكي وحمزانوف وناظم حكمت ولوركا وبابللو نيرودا وجورج لوكامش ) وروجيه جاوروي ( قبل اسلامه ) .

## الرؤية الإسلامية للواقعية :-

إن الاهتمام بالواقع وعرض قضايا الحياة ومشكلات الإنسان فيها بقالب أدبي ناجح أمر يحبذه الإسلام ، وفي تاريخ الدعوة الإسلامية ما يؤكد ذلك ، فقد دعا رسول الله ﷺ المسلمين كافة إلى الاهتمام بأمور إخوانهم « من لم يهتم

بأمر المسلمين فليس منهم » ، وحض الشعراء المسلمين على الدفاع عن المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة ، ووجه الخطابة إلى معالجة قضايا الحياة أولا بأول . وعلى هذا النحو سار الخلفاء الراشدون من بعده .

فالاهتمام بأمور الحياة اليومية ، وملاحظة هموم المجتمع أمر من الأمور التي يوجه إليها الإسلام بمنهج إسلامي وتصورات نقية .

وإذا نظرنا إلى الواقعيات الغربية وجدنا أنها تهتم بأمور الحياة وقضايا المجتمع أيضا ، ولكن بمنهج وتصورات مستمدة من فلسفات بشرية منحرفة ، تجعلها تتعارض مع المنهج الإسلامي وتصوراته في جوانب عدة أهمها : ـ

أولا : إن الواقعيتين الانتقادية والطبيعية تجعلان الحياة محكومة بالشر والفساد ، وهذه نظرة سوداوية متشائمة ـ لعلها من آثار النظرة اليونانية للقدر ، التي تتهمه بأنه يتحكم تحكما ظالما في الحياة ، ويملؤها بالجريمة والفساد ـ والإسلام يرفض هذا التصور .

فسنن الحياة في الإسلام فطرية حيادية ، توجهها الفاعلية

البشرية إما نحو الشر وإما نحو الفضيلة . والطبيعة الإنسانية في حد ذاتها مزدوجة ، تتقابل فيها عوامل الخير والشر ، وتتأثر بالظروف المحيطة بها وبما توجه إليه ولا تستعصي على التغيير . وعليه فليس ثمة ما هو محكوم عليه بالشر أو محكوم عليه بالخير ، وليس ثمة ما يمنع فاعلية الإنسان من التأثير في الحياة والمجتمع .

ثانيا : إن الواقعيتين الانتقادية والطبيعية تبرزان صور الشر والفساد في المجتمع لإضرام الثورة فيه وتغيير قيمه ـ كما تزعمان ـ غير أنهما في الحقيقة لا تقدمان أي بديل لهذه القيم ، ولا تملكان منهجاً محدداً لبناء مجتمع سليم ، ولا تعرضان صورة ما بعد الثورة . ونحن المسلمين لا نقبل أن يكون الهدم وحده غاية العمل الأدبي فلابد من التخطيط المسبق للبديل الذي يعوض عما نريد هدمه .

ثالثا : الإنسان عند الواقعيين عامة ، والطبيعيين خاصة حيوان بشري ، يتكون من مجموعة عوامل مادية وغريزية وحسب ، وليس للجانب الروحي أي اعتبار عندهم .

والإسلام يكرم الإنسان ويرفض التصور الذي يصنفه في

المجموعة الحيوانية ، ولا يقبل أن يكون سلوكه وفكره ومشاعره استجابة آلية للغدد والغرائز . . والإنسان في التصور الإسلامي جسد وروح ، ولكل من الجسد والروح حاجات ضرورية لايجوز إغفالها ، ولا الاقتصار على إحداها دون الأخرى .

رابعا : إن الواقعية الاشتراكية تناقض التصورات الإسلامية في جميع مبادئها : -

أ - فهي تبني الأدب على العامل الاقتصادي كما تبني جميع فعاليات الحياة عليه - ونحن نرى أن الأدب ظاهرة إنسانية ضخمة لا يصح ربطها بعامل واحد .

ب - توجه الأدب إلى الاهتمام بالطبقات الدنيا وحسب ، ونحن نريد من الأدب أن يهتم بالمجتمع كله .

جـ - تفسر الحياة وفق النظرية المادية الجدلية ، وتجعل محورها الصراع الطبقي . . والإسلام يرفض هذا التفسير .

د - توجه الأدب إلى التبشير بالمجتمع الشيوعي ، وترى أنه الحل المثالي لتناقضات الأنظمة كلها . والإسلام يرفض

المجتمع الشيوعي ، ويؤكد أنه أشد تناقضا وظلما من الأنظمة البشرية الأخرى ، ويبشر بالمجتمع الإسلامي ويريد من الأدب أن يسهم في بنائه .

هـ ـ ترفض الجانب الروحي في الإنسان ، وتوجه الأدب إلى محاربته ، وقطع كل ارتباط بالدين ، والإسلام يبني الجانب الروحي في الإنسان ولا يهمل الجانب المادي ، ويوجه الأدب إلى تعميق صلة الإنسان بالله عز وجل ، وبتعزيز إيمانه .

لذلك كله . . فإن الواقعية الاشتراكية تناقض التصورات الإسلامية ، وتنحدر بالأدب إلى المادية والإلحاد ودنيا الغرائز ، وتخنق حرية الأديب ، وهي مرفوضة مهما تلونت أو اتخذت أسماء متغيرة .

وخلال سنوات تطبيقها الماضية ظهرت مساوئها بوضوح ، ! حتى إن بعض النقاد الماركسيين ضجوا من آثارها السيئة ، وهاجموا سيطرتها على الأدب في البلاد الاشتراكية ، وسفهوا إنتاجها ( كجورج لوكاتش ) الذي كتب يقول : « إن الأدب الذي أنتجته الواقعية الاشتراكية جدب يتميز بالجمود

وضيق الأفق »[1] و( كروجيه جـارودي ) الذي تحـول عن الاشتراكية كلها واهتدى بهدي الاسلام .

(١) جـورج لوكـانش معنى الواقعيـة المعاصـرة ص ٨ ترجمـة د. أمين العيوطي دار المعارف بمصر ١٩٧١ .

# المذهب البرناسي
## PARNASSIANISM [1]

أحيط هذا المذهب بضجة كبيرة ، ورفعت شعاراته سلبا وإيجابا ـ في مناسبات كثيرة ، واستخدمت لتسويغ اتجاهات فنية غير أخلاقية .

ومن أشهر مؤسسيه الشاعران الفرنسيان : ( لـو كنت دوليـل ، وتيوفيـل جوتييـه ) أما ( دوليـل ) فقد تمـرد عـلى الرومانسية السائدة في أيامه ، وانتقد إغراقها في الفـردية ،

(١) نسبة إلى جبل PARNASS في اليونان وتروى الأساطير اليونانية أن أبولو إلهة الشعر وبعض آله الفنون تقيم فيه وقد أطلقت هذه التسمية على دواوين تضم شعرا لعدد من أتباع هذا المذهب من عام ١٨٦٦ ـ ١٨٧٦ ـ رمزا إلى أنهم يعنون كل العناية بكمال الصياغة الفنية في الشعر الغنائي .

واهتمامها الكبير بمشاعر الأديب الذاتية ومشكلاته الخاصة ، وقرر أن الأديب ينبغي أن يكون موضوعيا عاما يهتم بالجمال فحسب ، وأن الأدب لا غاية له ، لأنه غاية في حد ذاته ، لذا لا ينبغي للأديب أن يتخذ الأدب وسيلة لعرض مشكلاته الخاصة ولا أن يوجه الناس نحو مبدأ معين أو يعلمهم شيئا معينا .

وقد توصل ( دوليل ) إلى هذه المفهومات بعد أن استوت له فلسفة خاصة في الحياة ، استمدها من البوذية وهي فلسفة تسخر من آلام الانسان وبكائه ، وترى أنه يستطيع أن يتعالى عليها ، وأن يحل كل مشكلاته بـ « النرفانا » .

والنرفانا حالة نفسية يصل إليها المرء عند ما يتحكم في عواطفه ورغباته بقوة، وتحقق له في الدنيا - كما يرى دعاتها - الجنة التي وعدت بها الديانات السماوية في الآخرة .

لذلك يسخر ( دوليل ) من بكاء الإنسان ، ويعزو آلامه إلى رغباته المحرقة التي لم يستطع ضبطها . يقول : وكم من القرون قد ماتت منذ أخذ الانسان يبكي وأخذت الرغبة المتكالبة تخدعنا وتحرقنا بجذوتها الأشد ضراوة من النار التي لا تخمد » .

وأما ( جوتييه ) فقد صاغ عبارة ( الفن للفن ) « L'art pour L'art » التي صارت شعارا لأتباع المذهب ، وقرر أن الفن بعامة يشبه الحقائق الرياضية ، ولا يخضع لمقاييس الأخلاق ، فلا يوصف بالخير أو الشر ، إنما يوصف بالجمال والقبح لذلك فالبرناسيون غير معنيين بالقضية الأخلاقية في الأدب ولا بالقضايا الاجتماعية والسياسية .

وقد انتشرت آراء ( جوتييه ودوليل ) بين عدد من الشعراء ، وظهرت آثارها في قصائدهم والملاحظ أن معظم نشاط هذا المذهب مقصور على الشعراء واستطاع هؤلاء أن يقدموا دواوين شعرية قوية ومؤثرة ، تدور معظم موضوعاتها على وصف الطبيعة وبعض النماذج البشرية ، وتمتاز أساليبهم بالصورة المجسمة والمحبوكة بعناية ظاهرة وبالإيقاع الموسيقي الذي يشارك في تأدية المعنى ، وبالألفاظ المنتقاة والعبارة المهذبة . ويستعين بعضهم - ولا سيا جوتييه ودوليل - بالأساطير للتعبير عن القضايا والمشاعر التي لم يستطيعوا أن يعبروا عنها مباشرة ولم يستطيعوا كبتها ، كما دعوا في مبادئهم المعلنة ، وقد حملوا شخصيات هذه الأساطير وأحداثها ما يريدون أن يقولوه .

وقد لقيت البرناسية منذ ظهورها ترحيباً شديداً من أصحاب نزعات التحرر والتفلت من المبادىء الخلقية والقيم الاجتماعية . واستخدم شعارهم « الفن للفن » للدفاع عن الأعمال الأدبية التي تصدم المجتمع في عقائده وتقاليده وقيمه الخلقية . وبالمقابل لقيت هجوماً شديداً من دعاة الإصلاح والمدافعين عن القيم الخلقية كما هاجمها أصحاب المذاهب الأدبية الملتزمة كالواقعيين والوجوديين .

## الرؤية الإسلامية للبرناسية : ـ

إذا عدنا إلى البرناسية في أصولها ، بعيدا عن أهواء المغرضين والإباحيين وبعض المهاجمين ، فإننا نجد عليها مآخذ عدة ، أهمها : ـ

أولا : إنها تعزل الأدب عن قضايا الحياة الاجتماعية والسياسية ، وتعزله عن ذات الأديب أيضا . ونحن ـ المسلمين ـ نريد من الأدب أن يكون متصلا بالحياة وقضاياها من خلال مشاعر الأديب وإحساساته .

ثانيا : إنها تجعل الأدب غاية في ذاته ، وتحوله إلى ما يشبه

العقيدة وقد علمنا الإسلام أن ظواهر الحياة ـ المادية والمعنوية ـ ليست غاية في ذاتها ، وأن المسلم مرتبط بغايات أسمى دائماً .

ثالثا : إنها تهمل القضية الأخلاقية ، ولا تهتم أن يكون موضوع العمل الأدبي مهدماً للأخلاق أو مراعياً لها . وهذا أمر خطير ، لأن الأدب قد يتحول إلى استجابة آلية للغرائز والعواطف المريضة ، ويفتح أبوابه لكل انحراف يعتدي على العقائد والقيم الفاضلة ، ويعطي المنحرفين فرصة كبيرة لزرع الرذيلة بوساطته ، ولا يخفى على أحد ما للأدب من قوة تأثير في النفوس ، وماله من قدرة على حمل الموضوعات الجيدة والسيئة على حد سواء ، وبثها بمهارة في أعماق الناس . وهذا ما حدث في الواقع ، فقد انتشر في حماية هذه المفهومات ما يسمى بـ « الأدب المكشوف » .[1] وكان بارعا في تدليس الرذيلة وغرس الانحراف في قصص وقصائد ومسرحيات

---

(١) الأدب المكشوف pornography
مجموعة الأعمال الأدبية التي تبرز العلاقات الجنسية بشكل فاضح وتجعلها محورا رئيسيا أو مكملا للأحداث .

متقنة ، وكان فتاكا بالقيم والأخلاق .

وإذا كنا نسلم بأن الأدب ليس أداة دعاية للاخلاق ولا عبداً لها ، فإننا لا نقبل أن يكون خصماً معاندا لها ، ولا أداة للانحراف والالحاد وتهديم الأخلاق .

رابعا : إنها تجعل الأدب كالحقائق الرياضية ، لا علاقة له بالخير والشر . وهذه مغالطة تخرج الأدب عن حقيقته . فالأدب نشاط إنساني مشحون بالمشاعر والإحساسات يعالج قضايا معينة ويحمل صورا من فعاليات الإنسان وأحداث حياته الداخلية والخارجية ، خلافا للأرقام المجردة من كل ارتباط . فقد يحمل قضية إنسانية عميقة تمنحنا خبرة عالية ، أو تثير فينا مشاعر إيجابية . وقد يحمل قضية أنانية أو غريزية هابطة ، تؤذي المتأثرين بها وتوجههم إلى السلوك الانعزالي أو المنحط ومن النادر أن نجد قصة أو مسرحية أو قصيدة لا تؤثر في وجداننا بخير أو بشر ، وعندما يحمل العمل الأدبي إلينا مشاعر ضارة أو قضايا هابطة فمن التقصير والغفلة ألا نقومه بمقاييس الخير والشر ، بل إن من الأعمال الأدبية ما يصطدم مع العقيدة ومع أبسط القيم الخلقية فكيف يصح أن نسكت عنها .

وفي تاريخ الأدب العربي نماذج عدة لهذه الأعمال فهناك شعر أساء إلى العقيدة الإسلامية ونهش أعراض المسلمين ، وقد حاربه الإسلام وأهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دماء شعرائه ، كالشعر الذي قاله ( عبدالله بن خطل وكعب ابن الأشرف وعصماء بنت مروان ومقيس بن حبابة ) . . وقد قتل هؤلاء جميعا جزاء وفاقا لما حملته قصائدهم من أذى للإسلام والمسلمين[1] وهناك شعر عاقب الخلفاء عليه شعراءه لخروجه عن الإطار الخلقي الإسلامي فقد عاقب عمر رضي الله عنه ( الحطيئة ) لهجائه المقذع ( للزبرقان )[2] وعاقب عثمان رضي الله عنه ضابىء البرجمي لتفحشه ،[3] وعاقب الولاة الأمويون ( عمر بن أبي ربيعة ) ونفوه عدة مرات لتبذله في الغزل .[4]

خامسا : إن مفهوم الجمال عند البرناسيين قاصر لا يستوعب المجالات التي يتعامل معها الأدب ، فهو محصور

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/٥٣

(٢) انظر طبقات فحول الشعراء ١/١١٦ .

(٣) السابق ١/١٤٧

(٤) انظر الموشح ٢٠٣ . وثمرات الأوراق ٤٦ .

عندهم في الصياغة الفنية دون المعنى ، لذلك يعدون القصيدة جميلة إذا أحسن الشاعر انتقاء مفرداتها وصياغة صورها وبناء إيقاعها ، ويغفلون عما تثيره معانيها من مشاعر وأحاسيس ومن المعروف أن الأدب ليس ألفاظا مجردة من المعاني ، فكل كلمة وكل عبارة ، وكل صورة ترتبط بمعنى . . ولهذا المعنى أثر على تذوقنا للعمل الأدبي ، إعجاباً أو نفوراً . ولا بد أن تتضافر عناصر العمل الأدبي جميعها لتحقيق القيمة الجمالية ، وإذا سقط عنصر منها نقص جانب من جمال النص .

غير أن للمعاني أثرا يزيد على أثر العناصر الأخرى ، فقد تزيد من إحساسنا بجمال النص وتملؤنا رضى ومتعة ، وقد تنسف كل إعجابنا بما فيه من مهارة وإتقان لأنها تخاطب وجداننا ، وتمس قيمنا ومشاعرنا ، فإذا أحسنت التعامل معها أضافت إلى جمال الصياغة جمال المشاعر المحببة إلينا ، وإذا صادمتها وجرحتها أثارت فينا السخط والضيق وأسقطت إحساسنا بالقيم الجمالية الأخرى .

وعلى سبيل المثال : عندما نقرأ قصيدة ( أبي تمام ) في فتح عمورية نتملى جمالها من عدة جوانب : فهناك الألفاظ الجزلة ، والايقاع العذب ، والصور التي تحضر المشهد حيا

متحركا أمامنا وهناك أيضا ما تثيره معاني القصيدة فينا من مشاعر العزة والنصر . وعندما تمر بنا صورة عمورية وقد تحول نهارها إلى ليل من غبار المعارك ودخان الحرائق ، وصورة ستين ألفا من جنود الروم يتهاوون صرعى وسط الخرائب والحرائق ، نمتلىء شعورا بأن الجيش المسلم قد انتقم من الروم وعاقبهم على عدوانهم السابق ، وأنه حفظ هيبة الإسلام والمسلمين وأكد عزتهم دائما .

ولهذه المشاعر المحببة إلينا دور كبير في إعجابنا بالقصيدة عامة ولكن . . . لو أن هذه القصيدة نفسها لشاعر رومي يحسن العربية . . ويصف بها سقوط ( زبطرة ) المسلمة بيد الروم ، ويصف حريقها وسقوط حاميتها وتنكيل الروم بأهلها . . فهل سنحس بالمشاعر التي وجدناها في الحديث عن عمورية ؟ ! هل سنتذوق جمال الصياغة وعذوبة الإيقاع وبراعة الصورة ؟

أبدا . . لا يمكن أن يكون ذلك ، إلا إذا تخلينا عن ارتباطاتنا العقدية والتراثية . . لأن الأمر في الحالة الثانية مختلف تماما عن الحالة الأولى ، فالجندي المصروع أحد

أقـاربنا ، والبيت المهـدوم منزلنـا ، والسبي المسـوق بعض أعراضنا ، كل هذا سيثير فينا مشاعر الألم والتمزق ، ويحرك القهـر والغضب . وسيملؤنا كمـداً زهو الشـاعـر وتبجحـه بالنصر ، وستكون القصيدة مزعجة وغير جميلة بالنسبة لنا على الإطلاق .

إن جمال العمل الأدبي لا يقتصر على الصياغة إلا إذا كان هـذا العمل خـاليـاً من المضمـون ، وليس الأدب نقـوشـا وزخارف صماء ولا مجرد وصف لوردة أو حديقة ، والمعاني التي يحملها تعرض ـ غالبا ـ مشاعر ترتبط بقيم وأفكار عقدية أو قومية ، أو وطنية ، أو اجتماعية .

وإذا كانت بعض قصائد الوصف مجردة من هذه المشاعر فليس الأدب كله قصائد وصف .

سادسا : إن تأثر ( دوليل ) بالبوذية في بنـاء معظم هـذا المذهب الأدبي يكشف عن تهافت مبادئه ، فقد استمد دعوته إلى موضوعية الأدب وعزله عن مشاعر الأديب وعن قضايـا الحياة من التصور البوذي المنحرف .. والبوذية تنكر الآخرة وتلغي تطلع الإنسان إليها وتشغله عنها بالنرفانا .

وقد رأينا ضلال الزعم بموضوعية الأدب ، وبقي أن نشير إلى أن الأدب إذا صدر عن تصور يرفض الآخرة ، أو خدم هذا التصور ، مرفوض في الإسلام . وإذا قصد الأديب إلى تحويل الناس عن قضايا الغيب ، وإشغالهم بمدركاتهم الحسية فأدبه مرفوض عندنا أيا كانت صياغته ومعانيه .

# المذهب الرمزي

## SYMBOLISM

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، تجمعت عوامل عقدية واجتماعية وفنية وثقافية وتعاونت على إنضاج هذا المذهب في فرنسا على يد جماعة من الشعراء أشهرهم : ( بودلير ورامبو وفيرلين ومالاراميه ) .

فأما العوامل العقدية فهي الشعور الحاد بالفراغ الروحي الذي يعيشه الفرد الأوروبي ، والصدمة التي أصيب بها نتيجة إخفاق النزعة العلمية في سد فراغه الروحي وتعويضه عن العقيدة الغائبة ، والشطط الذي بلغته الفلسفة الوضعية ، فقد أمدت هذه الفلسفة الفنون والآداب بتصورات مادية جافة عن الانسان والحياة ، وجعلت الانسان بنية عضوية تسيرها الغرائز والغدد ، وألغت كيانه الروحي وقطعت صلته

بالله تعالى ، وحولت الحياة إلى مجموعة قواعد وأنظمة بشرية تنظم العلاقات بين الناس تنظيماً عقلياً مادياً محضاً .

وأما العوامل الاجتماعية : فهي التناقضات الكبيرة التي كان يعيشها رواد الرمزية في مجتمعاتهم ، فقد أحسوا بالنفور من أنظمتها وتقاليدها التي تحول دون تمتعهم برغباتهم الجامحة ، واتهموها بتقصير حرية الانسان وإرهاقه فخالفوها دون هوادة ، ومارسوا أنواعا منحطة من الشذوذ « ولقبوا بالمنحطين » .[1]

وأما العوامل الفنية : فهي البحث عن أسلوب جديد في التعبير . فقد كره رواد الرمزية التعبير المباشر الواضح ، ونفروا من أساليب الواقعيين والبرناسيين ، وادعوا أنها تعجز

---

(١) كانت الانحطاطية نزعة فلسفية وسياسية ذات طابع ثوري سلبي في معالمه ، تتضمن هربا ينكر كل القيم السائدة حينئذ ثم اشتهرت هذه التسمية لما أطلقها جوتيه على الروح السائدة في ديوان أزهار الشر لبودلير وعلى المتأثرين به لخروجهم على القيم والأخلاق والأعراف الفنية في سلوكهم وأخلاقهم وفنهم . انظر د. إحسان عباس فن العشر ٦٤ دار بيروت للطباعة .

عن نقل إحساساتهم وأن اللغة ذاتها عاجزة عن نقل التجربة الشعورية العميقة ، لذلك ينبغي إيجاد أسلوب يوحي بهذه التجربة وينقل أثرها إلى القارىء .

وأما العوامل الثقافية : فهي تأثرهم بكتابات الأمريكي ( أدجار آلن بو ) وأسلوبه الرمزي المتميز ،[١] وتأثرهم - من جانب آخر - بالفكرة الفلسفية التي تتحدث عن عالم خلف عالم الطبيعة والواقع هو عالم المثل .[٢]

وقد تعاونت هذه العوامل على إخراج المذهب الرمزي ، وكان ميدانه الكبير هو الشعر الفرنسي ثم تأثر به شعراء وقصاصون ومسرحيون في بلاد أخرى . . وعلى الرغم من ظهور مسرح رمزي وقصص رمزية ، فإن الشعر هو الذي جسد مبادىء الرمزية الغربية وأصولها بشكل كامل وقوي .

---

(١) كان بودلير قد اطلع على قصص ادجار آلن بو وترجمها إلى الفرنسية فقرأها الآخرون وتأثروا بها كما تأثروا بقصائد بودلير التي تأثرت برمزية ( بو ) .

(٢) كان أفلاطون أول من صاغ هذه الفكرة في مقولة فلسفية ، وقد تأثر بمقولته كثيرون وفي العصر الحديث اعتمد عليها نيتشه وشبنهور في بعض مقولاتها الفلسفية .

## أهم مبادىء الرمزية : ـ

أولا : رفض النزعة العلمية ، والروح الواقعية اللتين تغلغلتا في الأدب آنئذ .

ثانيا : الهروب من الواقع ، والتعالي عليه ، وعدم الاهتمام بمشكلاته السياسية والاجتماعية .

ثالثا : البحث عن عالم مثالي مجهول يسد فراغهم الروحي ويعوضهم عن غياب العقيدة والتعلق به ، والاخلاص له .

رابعا : رفض التعبير المباشر والوضوح ، والدعوة إلى نبذها .

خامسا : الاعتماد على أساليب تعبيرية جديدة للإيحاء بالمعنى والاحساس ، مثل : تراسل الحواس « حيث يسمع المشموم ويشم المسموع » واستخدام الصفات المتباعدة للتشخيص « الضوء الباكي » والاكثار من الصور الجزئية ، وتجميعها حول محور رئيس بكثافة . والخروج على الأوزان والصيغ النحوية .

سادسا : الاهتمام بإيقاع الألفاظ والعلاقات بين الأصوات للايحاء بالمعني ، وربط الشعر بالموسيقى ، لتوليد الأثر الجمالي من تناغم الحروف .

سابعا : الاتجاه نحو جمهور خاص ومحدود ، والتعالي على بقية الشعب .

## الرؤية الاسلامية للرمزية : ـ

ينبغي أن نفرق ـ أولا ـ بين الرمزية مذهباً أدبياً ، واستخدام الرمز في التعبير . . فليس كل نص استخدم الرمز منتميا إلى المذهب الرمزي، وقد يكون في قصيدة ما رموز عدة ، ولا نعدها في الرمزية المذهبية . والفيصل في الأمر هو وجود خصائص المذهب الرمزي فيه ، وارتباطه بالأصول الفلسفية التي اعتمد عليها المذهب . واعتماده بشكل أساس على أدواتها الفنية .

لذلك تنصرف رؤيتنا الإسلامية إلى المذهب الرمزي الغربي ، والنصوص الأدبية المرتبطة به والمتأثرة بأصوله الفلسفية وأما التعبير بالرمز دون الارتباط بخصائص المذهب

الأخرى فأمر لا غبار عليه البتة ، وقد سلكه عدد من الأدباء الإسلاميين قديما وحديثا ، وعبروا به عن تجارب روحية عميقة تعجز الأساليب الأخرى عن نقلها بهذا التأثير والجمال .

وغني عن القول أنه لا حرج على الأديب المسلم أن يستخدم أسلوب التعبير بالرمز في نقل تجربته الشعورية ، بل ربما يكون هذا الأسلوب منفذه الوحيد في بعض المجتمعات .

وأما المذهب الرمزي الغربي فهو نتيجة من نتائج تمزق الفرد الأوروبي وضياعه ، بعد أن تزعزع إيمانه واشتط في إلحاده، فقد علق آماله على العقل البشري، وما توصل إليه من علوم ، وظن أنه سيجد عنده الخلاص ، ولكنه ـ بعد خطوات قليلة ـ أحس بضيق العالم الذي حبس نفسه فيه ، وأحس بغياب « الروح » وطغيان عالم المادة ، فعاد يبحث عن الحقيقة الغائبة !!

ولأنه هجر الكنيسة لتعسفها التاريخي ، لم يعد إليها ، ولو عاد لما وجد عندها ما يشبع خواءه الروحي . لذلك سلك دروب الجمال الفني وأغرق نفسه فيها عله يجد عندها

الخلاص . واتخذها بديلا عن العقيدة . ولكن الجمال لن يكون أحسن حالا من الكنيسة ولن يسد فراغه الروحي . . الأمر الذي يجعلنا نسجل على الرمزية الغربية المآخذ التالية : ـ

أولا : ـ إن أساسها الفلسفي صادر عن فراغ روحي وإفلاس عقائدي وضياع في عالم المادة . وهذا أمر لايقع فيه الأديب المسلم ، إلا إذا انحرف عن فطرته .

ثانيا : إن « عالم الجمال المثالي » الذي تعلقوا به قد صار بديلا للعقيدة عندهم ، وهو عالم مجهول استغرقوا فيه استغراق المتبتل في عبادته . وهذا ولاء لايعطيه الأديب المسلم إلا لله ورسوله . . وفي أخف حالاته مغالاة لا يحتاج إليها الأديب المسلم و لايقبلها وجدانه .

ثالثا : يترفع الرمزيون عن الشعب ومشكلاته ، وينصرفون عن قضايا الحياة التي يعيشونها ، وهذا هروب لا نرضاه للأديب المسلم .

رابعا : يستخدم الرمزيون ـ في بعض الحالات ـ أدوات

فنيـة ترتبط بتصـورات لا يوافق عليهـا الاسلام ، كـرمـوز الصلب والفـداء والقربـان والخطيئـة النصـرانيـة ، وبعض الأسـاطير بمـدلولهـا الوثني . وإذا لم تجـرد هذه الأدوات من ارتباطاتها العقائدية فإنها تنقل التصور المنحرف وتثبته وتناقض التصورات الإسلامية .

# المذهب السريالي

## SURREALISM

قامت خلال الحرب العالمية الأولى حركة احتجاج فوضوية سميت الدادية ـ نسبة إلى زعيمها الذي لقب نفسه (الدادا) قادها بعض الشبان الذين أذهلتهم صدمة الحرب وشرورها المدمرة ، وقد أعلن هؤلاء أن القيم التي وصلت إليها الحضارة الانسانية هي المسؤولة عن هذا الدمار ، وأنهم يرفضون ـ لذلك ـ كل ما فيها من قيم ومعتقدات وتقاليد اجتماعية ويرغبون في العودة إلى الحياة الانسانية الأولى ، والبحث فيها عن قيم ومعتقدات بديلة .

غير أن حركتهم انتهت بسرعة ، وانتحر زعيمها ، بسبب فوضويتها وجهل أصحابها بالطريق الذي يمكن أن يحقق أهدافهم .

وعلى أثرها قامت حركة أخرى استفادت من أخطاء الدادية فتجنبتها ، وكان رائدها ( أندريه بريتون ) على قدر وافر من الثقافة الأدبية والفلسفية ، فأعلن مع مجموعة من أصحابه ومؤيديه عن تشكيل مذهب جديد ، وأطلقوا عليه اسم السريالية .[1]

وتتفق السريالية مع الدادية في رفض ما وصل إليه الانسان من قيم حضارية واجتماعية ودينية ، والبحث عن قيم بديلة ، وتختلف عنها في أن رفضها منظم ومفلسف ، يعتمد على بعض المعطيات الفلسفية ونظريات علم النفس التحليلي ، ولا سيما نظرية ( فرويد ) في « اللاشعور » .

وأهم قاعدة عند السرياليين هي تجاوز القيم السائدة والمعتقدات والأديان والتقاليد الاجتماعية ، واللجوء إلى الإحساسات الداخلية للإنسان « اللاشعور » و « الحلم »

---

(١) المعنى اللغوي لكلمة السريالية هو : فوق الواقع . وقد وضعه الشاعر الفرنسي ( أبو لينز ) (١٨٨٠ ـ ١٩١٨ ) ليصف به إحدى مسرحياته التي لا تلتزم بشيء من الواقع وفي سنة ١٩٢٤ أخذه أندريه برميون وأطلقه على مذهبه الجديد ، ورأى أنه أفضل لفظ يعبر عن صفاة هذا المذهب .

واعتبارهما الحقيقة الثابتة والصورة الصحيحة لغرائز الانسان الفطرية ورغباته المكبوتة .

لذا يهمل السريالي الواقع ، ويغوص في أعماق الانسان ، ويتعلق بعالم الأحلام والعقد ، ويطلق العنان لكل ما في نفسه من رغبات مكبوتة ، وقد يستعين بمؤثرات خارجية ، كالخمر والأفيون ليصل إلى حالة الذهول والغيبوبة ويعبر بصدق تام ـ كما يزعم عن عالم اللاشعور في داخله ، وكثيرا ما يعتمد على التداعي المطلق للألفاظ والأفكار لتسجيل كل ما يدور في نفسه . لذلك لا يهتم بأن تكون مشاعره واضحة ، وأفكاره مترابطة . ونتيجة لذلك نرى إنتاجه مهوشا أو مفكك الأجزاء ، يحتاج إلى جهد كبير لفهمه ومعرفة ما يريد أن يقوله صاحبه ، وقد يعجز صاحبه نفسه عن تقديم تفسير مقبول له .

وقد لقيت السريالية أول ظهورها رواجا كبيرا ، وانضم إليها عدد من الأدباء والفنانين وحاولوا أن يعبروا من خلالها عن نقمتهم على واقعهم الحضاري . وأصدر منظروها ـ وعلى رأسهم ( أندريه بريتون ) عدة بيانات توضح مبادئهم

وأفكارهم ، وأقاموا معارض دولية في أكثر من بلد ، ونشروا عددا من الدواوين والقصص والمسرحيات ، ولكن ما لبث أن توقف مدها بعد ربع قرن ، وأخذت في الانكماش والتقلص وشعر دعاتها بالعجز عن تحقيق أي هدف وبعقم ثورتهم على القيم والمعتقدات وإخفاقهم في إيجاد « مسيحية جديدة » تخلص الإنسان من عذابه وضياعه كما كانوا يظنون ، وتحول عدد منهم بعد الحرب العالمية الثانية إلى الشيوعية ، وجن بعضهم ، وسكت الآخرون .

## الرؤية الإسلامية للسريالية

كان ظهور السريالية واحدا من ردود الفعل التي أحدثتها الحضارة الغربية في الانسان الغربي . ولعل أكبر أسباب قيامها هو غيبة العقيدة الصحيحة عن الفرد الغربي ، وضياعه وراء أحداث عصره المذهلة ، والضلال الذي ساقته إليه النظريات العلمية المنحرفة وفي مقدمتها نظرية ( فرويد ) عن عالم اللاشعور .

وعلى الرغم من أن الذين تعلقوا بالسريالية كانوا يبحثون

عن مخلص من تفسخ حضارتهم وتناقضاتها فإن السريالية لم تزدهم إلا وبالا . فقد ساعدت على انتشار مزيد من التحلل ورفض الواقع والقيم الأخلاقية والاجتماعية ، وأطلقت الغرائز في صورتها الحيوانية ، وأنتجت نصوصاً أدبية مضطربة تزيد الضائعين ضياعاً ، وتحول الأدب إلى هذيان المحموم .

وغني عن البيان أن أسس السريالية جميعها تتناقض مع الاسلام ، فالمسلم لايهمل الواقع أبدا ، ولا يتجاوز عقيدته وعقله ، وينظم غرائزه ويتحكم بها وفق المنهج الاسلامي .

بل إن السريالية تتعارض مع أبسط القيم الخلقية والاجتماعية العامة لذلك لم تعمر طويلا ، فأخذت تذوب وتتلاشى تدرجيا وانفض عنها من أعجب بها ، حتى لا نكاد نجد لها شواهد مهمة في عصرنا هذا .

# المذهب الوجودي
## EXISTENTIALISM

يعد هذا المذهب أحد نتائج اضطراب العقيدة في الغرب ، فالإلحاد والنصرانية المحرفة ، ومفارقات الحضارة الغربية المبنية عليهما . . كل هذه الأمور جعلتا الفرد الغربي يحس أنه معلق في الهواء وأن حياته بلا معنى ، فيمتلىء بمرارة القلق واليأس والضياع .

وبتأثير هذه المشاعر ظهرت فلسفات تحاول أن تعيد له سكينته ، وتشعره بوجوده في الحياة ، وتقنعه بأنه يستطيع أن يصنع ذاته وكيانه بإرادته . وقد عرفت هذه الفلسات باسم الوجودية .

والوجودية نوعان : وجودية نصرانية ، ووجودية ملحدة .

وأما الوجودية النصرانية فتمثلها آراء (كير كجارد وكارل يسبرز وغبرائيل مارسييل ) وتعتمد على نظرية « الإنسان الخاطىء » النصرانية ، وعلى عدد من آراء ( مارتن لوثر ) المتمرد على الكاثوليكية ومؤسس البروتستانتية .

وترى هذه الوجودية : أن الانسان وارث لخطيئة أبيه ( آدم ) وأن الشعور بالإثم الذي يملؤه يدفعه إلى تحقيق وجوده أمام الله ، بالعمل النابع من إرادته الحرة . فهو يتولى خلق أعماله ، وتحديد صفاته وما هيته باختياره الحر ، ودون أن يفرض عليه شيء من خارجه .

وأما الوجودية الملحدة ، فزعماؤها ( هيد جر وسارتر والبير كامو ) وترى أن وجود الإنسان في هذه الحياة هو الحقيقة الوحيدة ، ولا يوجد شيء سابق عليها ولا بعدها . ومن ثم فلا يوجد إله ولا توجد ماهية ، ولا توجد مثل ولا قيم أخلاقية متوارثة لها صفة اليقين . وإن كل القيم والعقائد والتقاليد تراث عتيق ينبغي التخلص منه ، ليستطيع الفرد أن ينطلق في الحياة دون قيود تعيقه ، وليصنع بإرادته الحرة ما يشاء فتحمل ذاته ما كان يسميه السابقون « الماهية » !

لذلك يحصر الوجوديون قضاياهم وفلسفتهم في الأمور التي تدور بين الولادة والموت « الوجود والعدم » ويقيمونها على ثلاثة محاور رئيسية هي : الحرية والمسؤولية والالتزام .

فالمرء حر في أن يفعل ما يشاء ويختار ما يريد ، لأنه غير مرتبط بخالق أو بقيم خارجة عن إرادته . وحريته الواسعة في الاختيار والرفض تفرض عليه مسؤولية تنظيم حياته وعلاقاته مع الآخرين . ومسؤولية إنشاء القيم التي تنظم حياته ، وبين الحرية والمسؤولية ينبع التزام الوجودي بالعمل لمبادئه وتحقيق أهدافه .

وقد اعتمد الوجوديون على الأدب في تجسيد أفكارهم ليدعموا به كتاباتهم الفلسفية ، ولا سيما الوجوديون الملحدون فكتبوا قصصا ومسرحيات ودراسات نقدية ، وصنعوا بهذه الكتابات مذهبا أدبياً وجودياً .

والمذهب الأدبي الوجودي مكمل للفلسفة الوجودية ، وإطار يظهر قضاياها وبوساطة الأدب ، وأهم القضايا الوجودية : ـ

- الاغتراب الوجودي : حيث يشعر الأديب الوجودي

ـ وينشر هذا الشعور ـ بالغربة في مجتمعه ، لأنه لا يقتنع بقيمة المفروضة عليه « من خارج ذاته ، ولأنه لايدري من أين جاء ، ولماذا يعيش ؟؟ وليس له هدف إلا أن يحقق وجوده في أن يعيش كما يريد .

لذلك تصبح الثورة على القيم والتقاليد قضية مهمة عند الوجودي ، وتشمل التقاليد في مفهومه العقائد والأديان كلها . وعليه أن يرفضها ويدعو إلى رفضها والقضية الثالثة هي التأكيد على الحرية والمسؤولية والالتزام وتحقيق الذات من خلالها .

وليس لمذهب الوجودية الأدبي آراء خاصة في شكل العمل الأدبي وقالبه لأن اهتماماتهم منصبة على المضمون ، وهمهم أن يجعلوا الأدب ملتزما بعرض أفكارهم وخدمتها . وقد استثنى ( سارتر ) الشعر من هذا الالتزام وعده بنية لغوية إيقاعية مجردة ـ كالموسيقا ـ لا تصلح بطبيعتها لحمل الأفكار ـ والدعوات ، أما القصة والمسرحية فهما ميدان الالتزام الأكبر ، وهما اللذان جسدا المذهب الوجودي الأدبي .

وقد استطاع الوجوديون بملكاتهم الأدبية والنقدية ـ أن

ينتجوا قصصا ومسرحيات قوية في صياغتها ومشحونة بأفكارهم الوجودية وكانت وسيلة ذكية لنشر فلسفتهم ومبادئهم ، استطاعت أن تؤثر في آداب كثيرة منها الأدب العربي المعاصر وأشهر أدبائهم (جان بول سارتر ) وله عدة مسرحيات أهمها : الذباب ـ جسلة سرية ـ رجال بلا ظلال ـ الموس الفاضلة و ( البيركامو ) وأشهر رواياته : الغريب ـ الطاعون .

## الرؤية الإسلامية للوجودية :

لا شك أن الإسلام يرفض الوجودية بجميع أشكالها فالوجودية النصرانية تستمد مبادئها من التصور النصراني المحّرف ، وهو تصور يجعل الانسان حاملا للخطيئة الأبدية ، ويزعم أن ( آدم ) أورث أبناءه خطيئة . وهذا مخالف تماما للتصور الاسلامي ، الذي يقرر أن آدم قد تاب من معصيته ، وأن الله قبل توبته كما يقول تعالى : ﴿ فوسوس إليه الشيطان ، قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى ، فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما

من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾[1]

ومخالف للقاعدة الاسلامية الكبيرة ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[2] كذلك ترفض الرؤية الإسلامية زعم الوجودية النصرانية بأن الطريق إلى الله يبدأ من الشعور بالإثم والخطيئة ، وتقرر أن الطريق إلى الله ينطلق من المعرفة الصحيحة والمحبة والشكر ، وأما الشعور بالاثم فيكون مع التقصير واقتراف الذنوب .

والوجودية الملحدة مرفوضة لأنها ملحدة أولا وآخراً . وكل ما تأتي به مرفوض ولو توهم الواهمون أن فيه إبداعاً وبراعة فنية ومتعة كبيرة .

ثم إن القضايا الوجودية التي يزرعها المذهب الأدبي الوجودي مرفوضة إسلامياً فالاغتراب الوجودي بعيد عن المسلم ، لأنه يتصل بخالقه عبر العبادة ، وقد حدثنا القرآن

---

(١) طه : ١٢٠ ـ ١٢٢ .

(٢) فاطر : ١٨ .

كيف خلق ، ولم خلق ، وما سيؤول إليه ، وليس هناك حيرة ولا ضياع ، وإذا وجد في مجتمع يخالف تصوراته ، فإن لديه في إسلامه ما يبين له كيفية التعامل معه . سواء أكان التعامل بالتعايش معه ، أو هجره ، أو محاربته ، أو إصلاحه .

وأما قضايا الحرية والمسؤولية والالتزام فتختلف معالجتها في الإسلام عن المعالجة الوجودية اختلافا هائلا : ـ

فالحرية التي تدعو إليها الوجودية تبدأ بالتفلت من العقيدة والحرية في الاسلام تبدأ من فهم الانسان لموقفه من الله ، ثم من الآخرين ، وهي منظمة بقواعد شرعية تحفظها وتعطيها أبعادها المناسبة .

والمسؤولية عند الوجوديين هي مسؤولية مرتبطة بمفهوم الحرية الوجودي ، وموجهة إلى تنظيم الحياة وفق معطيات العقل البشري ، أما المسؤولية في الاسلام فهي مسؤولية ـ الخلافة في الأرض ـ وفق المنهج الالهي ، يحاسب عليها أمام الله أولا ثم أمام الكيانات البشرية الشرعية .

وأما الالتزام فيقترن عند الوجوديين بخدمة الانسان من وجهة نظرهم والأديب الوجودي يحمل ـ باقتناعه الكامل ـ

واجب تحقيق الدعوة لمبادئه الوجودية وأما الالتزام في الاسلام فيختلف مضمونه تماما ، لأن الأديب الإسلامي ملتزم بالدعوة الإسلامية في أدبه ، لايخرج عن إطارها من جهة ويدعو إليها بالوسيلة الأدبية المناسبة من جهة أخرى . . . والتزامه مقترن بإيمانه فهو طوعي إلى أبعد حد .

وكما ترى قد تتفق العناوين في المذهب الوجودي والرؤية الإسلامية ، ولكنها تختلف اختلافاً شديداً في مضمونها ودلالاتها ، لأن الوجودية تبدأ بالكفر فتقطع الانسان عن خالقه ، والاسلام يبدأ بالإيمان ، فيربط الإنسان بخالقه ، ولايمكن أن يلتقيا في أي من القضايا ولو كانت أسماؤها واحدة .

# نتائج ومعطيات

لعله من المفيد أن ننظر في المذاهب الأدبية الغربية نظرة متأنية ، نتأمل فيها عوامل نشأتها ، وأسباب انتشارها وأسباب انحسارها ، والظواهر التي صاحبتها ، والقضايا الفكرية التي حملتها ، والتصورات التي قامت عليها ، وارتباط ذلك كله بالعقيدة ، والنتائج التي نخرج بها . . فثمة ظواهر معينة نجدها في المذاهب الأدبية الغربية جميعها ، تفيدنا في تحديد موقفنا من هذه المذاهب ، وتفيدنا أيضا في بناء نظرة جديدة للأدب عامة وللأدب العربي الحديث خاصة ، وتفيدنا في استقطاب حاجات الفرد المسلم ، وكيفية تعامل الأدب معها واستيعابه لها ، والأدب المثالي الذي نصبو إليه .

ولاشك أن الظواهر التي يمكن أن يستنبطها أي دارس ينظر برؤية شاملة إلى مذاهب الأدب الغربي كثيرة ، لذلك

سنقتصر على ما نشعر أنه ضروري لنا . . ومن هذه الظواهر : ـ

أولا : أن المذاهب الأدبية الغربية جميعها نشأت متأثرة بفلسفات أو تيارات فكرية ، ذات تصورات معينة . وقد أثرت هذه الفلسفات والتيارات الفكرية في الأدباء ، وشكلت خلفيات فكرية للرواد الذين وضعوا الخطوط الرئيسية لكل مذهب .

فالكلاسيكية لم تستو مقوماتها إلا بعد أن اشتدت الفلسفة العقلية ، ووجهت أبناء عصرها إلى احترام العقل وتقديسه ، والنظر من خلاله إلى الفعاليات الانسانية كلها ، ومنها الأدب ونتيجة لذلك ربط الكلاسيكيون الأدب بالعقل ، واحترموا الأنظمة والقواعد والتقاليد ، وقيدوا الخيال عند أعتاب المعرفة « العقلية » .

والرومانسية لم تنتشر إلا بعد أن نهضت الفلسفة العاطفية رداً على طغيان « العقلية » وقد تأثر بها الأدباء فهاجموا القواعد والأنظمة الكلاسيكية ونادوا بالحرية ، وأطلقوا سراح

الخيال ، واشتطوا في ذلك وغالوا في الفردية حتى بلغوا حد الإنطواء .

والواقعية ـ بأنواعها ـ ظهرت عقب ظهور الفلسفات الوضعية والتجريبية والمادية الجدلية .

والأمر نفسه في بقية المذاهب الأخرى ، فقد ظهرت وكأنها استجابة أدبية للفلسفات والتيارات الفكرية المنتشرة في عصرها ، وكأنما تلك الفلسفات والتيارات تهيء عند ظهورها لظهور مذهب أدبي جديد ، أو أنها كانت تمتد فتقيم واجهة أدبية تجسد مبادئها ، ويتأكد لنا ذلك عندما نقرأ البيانات التي يصدرها رواد المذاهب الأدبية إما في شكل بيانات خاصة مستقلة وإما في شكل مقدمات لدواوينهم أو قصصهم ورواياتهم أو مسرحياتهم ويضعون في هذه البيانات منطلقاتهم الفلسفية والمبادىء التي اقتنعوا بها وجعلوها أرضية تنطلق منها أعمالهم الأدبية وتجسد تصوراتهم العامة . . حتى لنكاد نقول : إن هذه المذاهب الأدبية هي صياغة أدبية للفلسفات التي ظهرت في حينها ، وتطبيقات « فنية » لمبادئها .

ثانيا : إن الأدب ـ بجميع أجناسه ـ قد استطاع أن يحمل

« الفكـرة » دون أن يفقـد شيئـا من خصـائصـه الأدبيـة ، واستطاع أن يجسد القيم الفكرية والفلسفية دون أن يخرج عن كونه « أدبا » فقد نجح الأدباء البارعون من أنصار المذاهب المختلفة في أن يقدموا نماذج أدبية ممتازة ، تنقـل إلى المتلقي القضية الفكريـة مغلفة بـالمتعة الأدبيـة ، وقامت المسـرحية والقصة ـ على وجه الخصوص ـ بدور رائد في الإيحاء بالقضايا التي حملها الكاتب ، وبثت بأساليبها الفنية البارعة ـ فلسفات وتصورات عدة دون أن تخدش القيم الأدبية ، ودون أن تسف إلى درجة الدعاية الرخيصة .

وأما الشعر فقد تردد بعض رواد المذاهب الأدبية في إقحامه ميـدان « الفكرة » والقضيـة الفلسفية ، غـير أن الواقعيـين الاشتـراكيين أسقـطوا ترددهم ومخـاوفهم من أن يفشـل في التجربة الجديدة ، وأثبتوا أن الشعر في يد الشاعر الموهوب قابل لحمل أية قضية ، وقادر على بثها بشروط فنية معينة . وجـاء (إليوت ) فـأثبت أن الشعر ذو مقـدرة فذة عـلى حمل القضايا العقدية وبثها بأبدع أسلوب . فاكتمل دور الأجناس الأدبية جميعها في إيجاد ائتلاف بديع بـين الفكرة والأدب ،

وأثبت كـل من بلزاك ودستـوفسكي ومكسيم جـوركـي وتولستوي وأندريه برمتون وأبسن وبرناردشو والبيركامو وجان أنـوي وكثيرون غيـرهـم بآثـارهـم الأدبية القـوية أن الأديب الموهوب يستطيع أن ينتج أدبا جميلا يحمل قضية عقدية وأن الأداة الفنية قد تطورت إلى حد كبير ، وأصبحت قادرة على حمل المضمونـات الفكريـة والخلقية والعقـائديـة الصحيحة والمنحرفة في آن واحد ـ دون أن تفرِّط في شيء من قيمتهـا الأدبية ، خاصة بعد أن دخلتها أصناف جديدة غنية كالرمز والأسطورة ـ فطورتها وأهلتها للتعبير عن المبادىء تعبيرا فنيا ممتازا .

ثالثا : إن الأدب الغربي ـ منذ مطلع العصور الحـديثة ـ اتجه إلى المذهبية ، وإن معظم الأدباء قد انضووا تحت مذهب أدبي معين ، أو تأثروا به تأثراً كبيراً ، وقليل منهم بقي خارج المذاهب ، وخصوصا الأدباء العظماء الذين لايمكن أن يحدهم مذهب معين ، والـذين يسبقون عصـرهـم غالبا. فشكسبير ـ مثلا ـ يكاد يكون مذهباً منفرداً ، يجـد فيه الكـلاسيكيون والـرومانسيـون والرمـزيون والـواقعيون عنـاصر مهمـة من

مذاهبهم . وإذا استثنينا هؤلاء العظماء ـ وهم قليلون ـ فسنجد بقية الأدباء متأثرين إلى درجة كبيرة بالمذهب السائد في عصرهم ، فأدباء القرنين السابع عشر والثامن عشر كلاسيكيون غالبا ، وأدباء النصف الأول من القرن التاسع عشر رومانسيون غالبا ، وأدباء النصف الثاني منه موزعون بين البرناسية والرمزية والواقعية .

لذا نقول باطمئنان : إن الأدب الحديث ـ في معظمه ـ متوزع في مذاهب أدبية لها صفات وخصائص محددة ، وإن آثار الأدباء تأخذ منها بنسب متفاوتة .

رابعا : إن القرن العشرين قد حفل بالمذاهب الأدبية المختلفة ، بل والمتعارضة أيضا ، وأنها تتعايش معا في بعض الساحات الأدبية فنحن نجد في بلد أوروبي واحد ـ كفرنسا مثلا ـ الوجوديين والواقعيين الاشتراكيين والرمزيين وبقية من السرياليين ، وربما بقية من الرومانسيين . . وأشكالا أخرى من المذاهب الجديدة التي تظهر بسرعة ويغطي طنينها الآفاق إلى حين ، ثم يخفت صوتها بنفس السرعة التي ظهر بها ، ولا يبقى لها إلا أنصار قليلون مشتتون ، تطغى عليهم أصوات

المذاهب التالية ، فكأن هذا القرن يعـوض الآن عن قرون الاستقرار السابقة .

خامسا : إن الأدب في هذا القرن أصبح شديد الحساسية للتيارات الفكرية والفلسفات الجـديدة وسـريع الاستجـابة لها ، بل إنه أصبح في بعض الحالات وجها من وجـوه هذه الفلسفات والتيارات ، فالوجـودية تصـل فلسفتها بـأدبها ، وتجعل قصصها ومسرحياتهـا جزءا تـطبيقيا ومكمـلا للجزء النظري الذي يظهر في مقولات فلسفية محضة .

سادسا : إن التيارات الفكريـة والفلسفات التي شكلت خلفيات فكرية للمذاهب الأدبية ، حاولت أن تكون البديل العقـدي الذي يمـلأ الفراغ الـروحي عند الفـرد الغـربي ، ويتصل بالأدب على نحو ما كانت العقائد السابقة متصلة به ، ويقدم له التصورات اللازمة .

فالفلسفة العقلية التي أنجبت المذهب الكلاسيكي رافقت الثورة على الكنيسة والتشكيك في نصرانيتها وفقـدان الأمل فيها ، ولاشك أن الكنيسة بأوضاعها المتردية في بداية عصر النهضة وبموقفها الشائك من العلم والعقل قدمت للمتمردين

مسوغات ثورتهم وإلحادهم . وساعدتهم بصورة غير مباشرة على الدعوة إلى الكفر بالغيبيات والتوجه نحو العقل البشري وعقد الآمال عليه .

وطبعي ـ وقد خلا الوجدان الغربي من التصورات التي كانت تقدمها النصرانية ـ أن يبحث عن تصورات أخرى تفسر له وجوده في هذا الكون، وتنظم له علاقاته مع الوجود، وهنا تتقدم الفلسفة العقلية لتقول له : إنه يملك الجهاز الذي ينظم له حياته وعلاقاته بالآخرين . وإن جهازه صالح لوضع نظام للظواهر المادية والمعنوية ، بدليل ما قدمه من مكتشفات ومخترعات ، هذا الجهاز هو العقل . وعليه أن يستخدمه في البحث والدراسة واستنباط القواعد مما حوله ، وإذا أمعن النظر فيما قدمه أسلافه العظماء في الحضارات السابقة ، واستطاع أن يكتشف نواميس التطور فيها ، فسوف يسهل عليه أن يحذو حذوهم ويتابع مسيرتهم الحضارية . . . وهكذا امتلأ وجدانه ثقة بالعقل وأسلمه قياده فنظر من خلاله إلى ظواهر الحياة كلها ، ومنها الأدب فبحث واستنبط ونظر ، حتى تكاملت قواعد نظريته وغدا مذهبا أدبيا كلاسيكيا . .

وسار الفرد الغربي وراء الكلاسيكية أشواطاً ، واكتشف بعد حين أن قواعدها أضاعت فرديته ، وأن ولاءه الشديد لها حرمه من فرصة اكتشاف نفسه وإظهار عواطفه ، لذا فهو في حاجة إلى أسس جديدة تتدارك نقص قواعده وتلبي حاجاته الفردية ، فالتفت إلى نفسه وأكب عليها ، وعدها القضية الكبرى ، وجعل ميولها وأهواءها حقائق قاطعة ، وثبت له إفلاس الواقع الذي رسمت خطوطه الفلسفة العقلية ، فنفر من العقل ، وهرب من واقعه إلى الأساطير والأحلام والطبيعة يغرق في سكونها وجمالها همومه المتزايدة ، وارتاح إلى أسلوبه الجديد مدة من الوقت ، ثم عاد إليه قلقة ، وأحس بالفراغ الروحي ثانية ، وبالتناقض ، وأخذ يشك بالحلول الرومانسية التي تعلق بها ، وارتفعت الأصوات التي تظهر عيوبها وثغراتها ، بعضها يكتشف أن الهرب من الواقع لايصلح الواقع ولا يريح الهاربين ، لأنه مفروض عليهم ولابد لهم من معايشته والأجدر بالأديب أن يكب على هذا الراقع وينتقده أو يعالجه ، وبعضها يرى أن الفردية لا تحقق الذاتية ، وأن ذات الفرد الأوروبي الضائعة تعود إليه بالإرادة ، وبما تشير به الفلسفة الوجودية ، وبعضها يقود الفرد إلى الأعماق ويدخل

به منطقة اللاشعور ويقول له : هذه هي الحقيقة الوحيدة فأطلق لنفسك وغرائزك العنان واجعل السريالية رائدك . .

ولم يكن مصير هؤلاء بأحسن من سابقيهم ، إذ نهض آخرون يبينون لهم قصور تصوراتهم ، ويقترحون كما اقترح من قبلهم ، ويجربون كما جربوا . . وتأتي بعدهم فئة ثالثة بمنهج جديد وتبرهن على خواء الفلسفات الأخرى وعيوب التيارات الثانية وعجزها عن تخليص الانسان من عذابه وتطرح حلولا جديدة وتزعم أنها الطريق إلى الجنة الموعودة . . وهكذا . .

والمدهش أن جميع الفلسفات والتيارات الفكرية لم تقبل العودة خطوة واحدة إلى الوراء لتعيد النظر في التصورات التي تجاوزتها الفلسفة العقلية وهي تصورات النصرانية ، ويبدو الأمر وكأن الفرد الغربي قد فقد الأمل فيها نهائيا ، وأن تجارب من سبقوه كانت مريرة إلى درجة تجعله لا يخاطر بإعادة التجربة ، أو أنه فتش هذه التصورات فلم يجد فيها ما يقنعه .

وفي العقود الأخيرة ظهر صوت متفرد ويخالف كل

الأصوات السابقة ، ويحاول أن يعود بالأدب إلى التصورات النصرانية في أصولها القديمة ، وقبل أن تنجرف الكنيسة إلى معاداة العقل ويسعى ليقنع الناس بأن خلاصهم الوحيد في العودة إلى هذه التصورات هذا الصوت هو صوت الشاعر الناقد ( ت.س. إليوت ) . وقد استطاع بقدراته الأدبية والنقدية الفذة أن يثبت في وجه التيارات الأخرى وأن يشكل مدرسة كاملة في الشعر والنقد. تستمد تصوراتها من الكاثوليكية ، وتعلن بصراحة وقوة أن طريق الخلاص هو طريق السماء .

وعلى الرغم من قصور التصورات النصرانية المحرفة ، وعجزها الواضح عن تلبية حاجات الانسان العصري ، فإن إيمان إليوت القوي بها ، والنتائج المريرة التي تصل إليها الفلسفات والتيارات الفكرية المتعاقبة ، وظروف الحضارة الغربية المعقدة . . كل ذلك جعله يثبت أقدامه في طوفان الفلسفات الملحدة ويشد الأنظار إلى دعوته .

سابعا : إن الأدب بارتباطه بهذه التيارات الفكرية والفلسفات التي حاولت أن تكون بديلا عقديا يعوض الفرد

الغربي عن عقيدته السماوية المفقودة ، وارتباطه بأساس عقائدي نصراني عند إليوت أتباعه ، يؤكد حاجته الدائمة إلى ارتباطات عقائدية ، ويؤكد أنه لايمكن أن يتخلى في يوم من الأيام عنها .

والمعروف أن الأدب ولد في أحضان العقيدة ، ونما وتطور في رعايتها ، وحمل منذ فجره المبكر آثارها العميقة ، فلما تخلى « الأديب » عن عقيدته الأولى ، والتفت إلى فلسفات بشرية ومناهج فكرية يصوغها العقل البشري ، تعلق بهذه البدائل ، ولم يقبل أن يخلو من آثار العقيدة . سواء أكانت بشرية أم سماوية ، وثنية أم صحيحة ، وقد اشتد اضطرابه وتنقله من « معتقد » إلى آخر عندما دخل الفرد الغربي مرحلة قلق عقدي شديد . ذلك أنه في القرنين الأخيرين تخلى تخلياً شبه كامل عن نصرانيته ووقع في خواء روحي كبير ، وحاول أن يجد بديلا يعوضه عنها فتعلق بالتيارات الفكرية والفلسفات التي أبدعها تفكيره البشري ، وكان يعجب بكل فلسفة أول ظهورها ، ويتعلق بتصوراتها ، ويظن أنها المرفأ الذي يستريح عنده فيأخذ بها في فنه وأدبه . . غير أنه يكتشف بعد مدة وجيزة أن هذه التصورات قاصرة وأن في حياته

جوانب كثيرة تبحث عن تصورات تنظمها ، وأن ما تعلق به سابقا ـ إن أصلح في جانب ـ أفسد في جانب آخر ، فيقلع عنه ، وينقل بفنه وبأدبه إلى تصورات أخرى ، وقد يتوزع المجتمع وراء فلسفات عدة متناقضة وقد يتنقل من واحدة إلى أخرى . . وهكذا قلق دائم . . وسيظل على هذا النحو ما بقي بعيدا عن التصورات العقدية الصحيحة ، التي وضعها خالق الانسان ، وصانع حاجاته ونوازعه وعوالمه الداخلية والخارجية ، وسيظل أدبه لاهثا متنقلا من مذهب إلى آخر ، أو متشتتا وراء مجموعة مذاهب متناقضة ، إلى أن يرتبط بالتصورات العقدية الصحيحة .

ثامنا : إن المذاهب الأدبية قد ساعدت على بناء الشخصية « العالمية للأدب » وأوجدت صفات مشتركة بين عدد من آداب الأمم المختلفة في لغاتها ومواطنها وشجعت انتقال الآثار الأوروبية من بلد إلى آخر ، وأقامت ما يشبه « الرابطة » بين أعداد كبيرة من الأدباء المنتشرين في العالم ، والمتشابهين في بعض الصفات الأدبية ، فالواقعية الاشتراكية ـ مثلا ـ جمعت ما بين الأديب الروسي والأديب الفرنسي والأديب البرازيلي ،

وأوجدت بينهم صلات كثيرة ، وزرعت فيهم شعورا بالإنتماء الواحد ، وكذلك الأمر في الوجودية والسريالية ، وقد أقام السرياليون عام ١٩٢٨م معرضا شارك فيه أدباء من أربع عشرة دولة ، والشيوعيون ما يفتأون يقيمون المؤتمرات والمهرجانات ويدعون إليها الأدباء المنتمين إلى الواقعية الاشتراكية ، ويعمقون فيهم مشاعر الانتماء والوحدة على الرغم من انتمائهم إلى جنيسات وقوميات ولغات مختلفة . فالمذهب الأدبي الذي يجمع أدباء متفرقين في العالم ينشىء بينهم وحدة غير منظورة ، ولكنها ملموسة في وحدة المفهومات ووحدة القضايا ، بل ووحدة الأساليب الفنية أو تقاربها على أقل تقدير . ويعمق انتماءهم إلى الفلسفة أو التيار الفكري الذي يرتبط به المذهب . ولو قام في أدبنا العربي الحديث مذهب أدبي موحد يستمد تصوراته من العقيدة الإسلامية التي تنتشر في أنحاء البلاد العربية ، ويرتبط بجذوره التراثية الأصيلة من جهة ، وبالرغبة القوية في التطور والتقدم ، لو قام مثل هذا المذهب لأوجد على أقل تقدير ـ رابطة موحدة بين الأدباء العرب المعاصرين ولعمق انتماءهم إلى عقيدتهم ولغتهم ووطنهم .

وبعد : ـ

فتلك هي مـذاهب الأدب الغربي ، أو معـظمهـا وتلك آثارها ومعطياتها ، فما هي مذاهبنا الأدبية نحن المسلمين ؟ وهل في ساحاتنا مذاهب نبعت من « تياراتنا الفكرية » أو من فلسفاتنا المتعاقبة ، وتحمل تصوراتنا العامة ؟

وما المذاهب الأدبيـة التي ينتمي إليها أدبـاؤنا في العصـر الحديث ؟

تقتضي الإجـابة عن هـذا السؤال أن نلم أولا بالآداب المعاصرة عند الشعوب الإسلامية العربية وغير العربية ، وهذا غير متاح في الوقت الحاضر على الأقل ، فمازال الأدب المقارن بين الشعوب الإسلامية أمنيـات في رحم الغيب ، ومازالت الدراسات العربية لآداب الشعوب الاسلاميـة غير العـربية قليلة جدا لا تساعد الباحث على تكوين حكم موضوعي ، وليس لنا إلا أن نحصر سؤالنا في الأدب العربي المعاصر ، ولا نزعم أننا على اطلاع دقيق لوضعه في الأقطار العربية كافة ، ولكن الصورة العامة التي تقدمها الكتب المطبوعة حتى الآن تعين على اطلاق حكم أولي . .

وعندما نتأمل الساحة الأدبية في العالم العربي ، ونقرأ نصوصا أدبية من الأقطار العربية كلها سواء في القصة أو الشعر أو المسرحية . . فسنخرج بإجابة واحدة هي : أننا لا نملك مذهباً أدبياً واحداً ينبع من « تياراتنا الفكرية العربية » ولا نملك مذهبا أدبيا يجسد فلسفتنا العربية الإسلامية ويحمل تصوراتنا وطوابعنا الشخصية .

أجل إن الأدب العربي المعاصر كله لايملك مذهبا أدبيا يمكن أن يقال عنه إنه مذهب أدبي عربي النشأة واسلامي التصور . .

وإن أدباءنا يتأثرون ـ بنسب متفاوتة ـ بالمذاهب الأدبية الغربية ، بعضهم يخلص للواقعية الاشتراكية ويجند أدبه للدعوة إليها وتمثيلها وبث مبادئها ، وبعضهم يدعو إلى تطبيق الوجودية ويرى أنها المذهب الذي يفجر طاقات الانسان ويجعل الأديب ملتزما ببناء حياة حرة ، وبعضهم يتأثر بالبرناسية ويرفع شعاراتها ، وبعضهم يمسك خيوطا من هنا وخيوطا من ذاك ويصنع مزيجاً غريباً متفرداً . .

ولكن ليس هناك أديب يبني أو يسهم ببناء مذهب أدبي محلي أو إسلامي . .

فنحن ـ وهذه حقيقة لايصح أن تغيب عنا ـ لا نملك في أدبنا المعاصر مذهبا أدبياً عربياً إسلامياً . . ترى أليس في أدبنا قابلية بناء مذهب أدبي متميز ؟ أم أننا في غنى عن « المذهبية الأدبية » وليس في واقعنا حاجة إليها ؟

أما إن أدبنا غير قادر على بناء مذهب أدبي فهذا مالايدعيه عاقل ـ لأن الأدب العربي يملك في هذا العصر كل عناصر المذهبية ، ويلتحم بالتيارات الفكرية التحاماً شديداً فضلاً عن أنه يحمل ظلالاً لمذاهب الأدب الغربي من أقصاها إلى أقصاها !

تبقى أمامنا قضية الحاجة إلى المذهب الأدبي . . فهل نحن ـ المسلمين ـ في حاجة إلى مذهب أدبي إسلامي ؟

ولماذا ؟

هذا ما سنعالجه في الصفحات القادمة .

# حاجتنا إلى مذهب أدبي إسلامي

هل نحن ـ المسلمين ـ في حاجة إلى مذهب أدبي إسلامي ؟ ولماذا ؟

للإجابة عن هذين السؤالين ، ينبغي أن ننظر في أربعة أمور ، هي : العالم من حولنا ، والعالم الإسلامي المعاصر ، وواقع الأدب في العالم ، وواقع الأدب في العالم الإسلامي .

## أولا : العالم من حولنا

لا جدال في أن الحضارة الإنسانية المعاصرة وصلت إلى درجة لم تعرفها البشرية من قبل . فقد وضع الانسان أقدامه على القمر ، وتطلع إلى الكواكب الأخرى ، وحصل على وسائل هائلة للراحة والرفاهية ، وقدم له العلم منجزات

يطول الحديث عنها . وفي الوقت نفسه حملت هذه الحضارة حروبا لم تنقطع ، وشروراً ودماراً عجيبين ، وحملت أيضا الألم والقلق والضياع للكثيرين ، ولم تستطع أحدث منجزات العلم ، وأفضل النظريات النفسية والاجتماعية ، أن تحد من الجرائم المتزايدة ، ولا أن توقف الشرور والدمار ، ففي أرقى البلاد حضارة ، نجد أعلى نسبة للجريمة والانتحار .

وقد انقسم العالم « الأكثر حضارة » إلى معسكرين : شرقي بزعامة روسيا ، وغربي بزعامته أمريكا . وقام بينهما صراع مرير ، وتسابق لبسط النفوذ على الأمم الأخرى ، ورصدت أموال طائلة لسباق التسلح والحفاظ على التوازن العسكري ، وقام ـ نتيجة لهذا التوازن ـ وفاق قلق ، يضطرب كلما اشتد التنافس على أمة من الأمم ، ثم ينتهي بالوئام المؤقت وتبادل المنافع على حساب الأمم القتسمة .

ولكل من المعسكرين حضارة ونظام ينبعان من فلسفات وتصورات خاصة ، فالمعسكر الشرقي ـ مثلا ـ يرى أن الكيان الجماعي أهم من الكيان الفردي ، لذلك يعتمد على نظام الحزب الواحد ، ويطبق النظريات الماركسية في الاقتصاد

ويلغي الملكية الفردية أو يحدها ، ويقلل من أهمية الحرية الفردية .

بينما يرى المعسكر الغربي أن الكيان الفردي أهم من الكيان الجماعي ، ويعتمد على النظام الديمقراطي في الحكم ، ويطبق النظريات الرأسمالية في الاقتصاد ويسمح للملكية الفردية بالتضخم الشديد ، ويعطيها حريات واسعة تجعلها قوة تتحكم في كل شيء .

ويدعو كل من المعسكرين الشعوب الأخرى إلى الأخذ بنظامه ، ملوحا بما حققه من تقدم حضاري ، وبشعارات كثيرة خادعة ، كالحرية ، أو العدالة الاجتماعية ، أو الرخاء أو الديمقراطية . ويستخدم وسائل كثيرة لإغرائها ، كالمساعدات العسكرية والاقتصادية والثقافية . . ولكن أخطر وسائله هي : الغزو الفكري ، حيث ينشر في الأمة المغزوة قيمه وتصوراته وآدابه وفنونه ، ويطمس قيمها وتصوراتها ويميع شخصيتها الخاصة ، ويوهمها بأن الأخذ بنظامه وفكره وآدابه هو الحضارة والتقدم . .

وقد يستخدم القوة العسكرية لمواجهة ما يظهر فيها من

مقاومة أو تهديد بالمقاومة ، كما فعلت روسيا في تشيكوسلوفاكيا والمجر وأفغانستان ، وكما فعلت أمريكا في كوريا وفيتنام ولبنان ، ويبقى الغزو الفكري الهادىء أشد خطراً لأنه يطمس شخصية الأمة المغزوة ويلحقها بركب التبعية دون حاجة إلى دماء وحروب .

## ثانيا : العالم الإسلامي المعاصر : ـ

نرى في العالم الإسلامي المعاصر ظاهرتين متضادتين :
الأولى : حالة الضعف والتخلف والتمزق التي يعيشها .
والثانية الصحوة الواعدة ، والتطلع إلى الوحدة والقوة والتقدم .

وصور الظاهرة الأولى كثيرة ، نلمحها في خريطة العالم الاسلامي المعاصر بوضوح ، وفي وضعيه : الدولي والداخلي .

فهو دول كثيرة مبعثرة ، لاتملك قوة التأثير على أي من المعسكرين الذين يقتسمان العالم ، وليس هناك بعد إسقاط الخلافة العثمانية ـ كيان إسلامي كبير يجمع عددا من الشعوب

الإسلامية في إطار واحد ، وبعض الدول الإسلامية متنافرة متحاربة ، والدول الاسلامية التي تعلن في قوة ووضوح أنها تطبق الشريعة الإسلامية قليلة جداً ، ومعظم الشعوب الإسلامية تحكمها أقليات غير مسلمة ، أو فئات مسلمة في هويتها ولكنها أشد عداء للاسلام ونظامه من الصهاينة والصليبيين ، والأقليات الإسلامية مضطهدة ومقهورة غالبا ، والوضع الحضاري للعالم الإسلامي متخلف كثيرا عن المعسكرين الشرقي والغربي ، ووضعه الاقتصادي متخلف أيضا ، فهو مصدر للمواد الخام ، وسوق مستهلك للمنتجات المادية التي تنتجها مصانع المعسكرين : الشرقي والغربي .

لذلك أصبحت الشعوب الإسلامية مطمعا للمعسكرين ، وقد نجح كل منهما في شد بعض الدول الاسلامية إليه ، وإلحاقها بتبعيته .

والمدهش أن هذه الشعوب جميعها ، وعلى ضعفها وتخلفها مازالت تتعرض إلى الغزو الفكري المكثف ، وإلى حملات تبشيرية تنفق فيها الأموال الطائلة وتبذل لها الجهود الضخمة لقتل ما بقي من شخصيتها الاسلامية ، ولمحاصرة إسلامها في

زوايا المسجد ، وعـزله عن الحيـاة الاجتماعيـة والسياسيـة والفكرية ، ولتصويره ـ في أحسن الأحوال ـ على أنـه تراث مجيد ، لايصلح للحياة المعاصرة .

ومن أشكال هذه المحاصرة أيضا ، تطبيع الفرد السملم بطوابع المدنية الشرقية أو الغربية ، وملئه بقيمها وتصوراتها وسلخ عقيدته وتغيـير ثقافتـه وآدابه وفنـونه ، وتحـويلها إلى مسوخ تقلد الثقافات الأخرى .

وأما صورة الصحوة الاسلامية الواعدة فمنها : الثورات التي يقودها المجاهدون ضد الشيوعيين والصليبيين وأعـداء الاسلام الآخرين والـوعي الإسلامي المتـزايد بـين المثقفين خـاصـة ، وبـروز الكتـاب الإســلامي إلى جـانب المسلم المثقف ، معلمين بارزين ، والسعي الحثيث إلى بنـاء كيان إسلامي حديث ، والعمل على إبراز الشخصية الاسلامية في مجالات الحياة كلها ، والتأكيد على قدرة الإسلام الفائقة على إدارة الحيـاة في كل زمـان ومكان ، وتـزويـد الفـرد السلم بـالنظريـات الاقتصاديـة والاجتماعيـة والسياسيـة والفنيـة الإسلامية ، لتعينه على مواجهة التحديات ، وتحصنـه ضد الغزو الفكري الشرس .

## ثالثا : واقع الأدب في العالم :

تبدو في الأدب العالمي المعاصر عدة سمات ، منها :

**أولا : أنه متأثر بروح العصر ، وبطبيعة الحضارة التي يصدر عنها ، وهذا أمر طبعي في كل أدب حي .**

ويبدو تأثره بالحضارة في تطور أدواته الفنية ، واستفادته من الدراسات النفسية والاجتماعية والفلسفية، وفي تجاربه الشكلية الواسعة ، وفي اختلاطه بهموم العصر ، وتعبيره الفذ عنها في شحنات القلق والضياع والغربة التي تحملها أخباره الأدبية كلها ، وفي توزعه بين الاتجاهات الفكرية المختلفة .

**ثانيا : أنه متأثر بالفروق الكبيرة بين الكتلتين الشرقية والغربية ، وبالصراع القائم بينهما ، ففي كل كتلة نجد أدبا يحمل طوابعها الشخصية ، ويظهر اتجاهاتها الفكرية ، ويعرض تصوراتها للانسان والحياة والكون .** فأدب الكتلة الشرقية يلتزم بقضايا المجتمع الشيوعي ، ويبرز ـ في خلفياته ـ المفهومات الاشتراكية ، ويرتبط بالمذهب الواقعي الاشتراكي ، ويرسم صورة زاهية ـ ومزورة غالبا ـ للحياة في

ظل الشيوعية ، وفي الوقت نفسه يصورالمفهومات الرأسمالية في صورة قاتمة ، ويجعل شخصياتها ظالمة وكريهة وأدب الكتلة الغربية يبرز الاتجاهات الفكرية الكثيرة فيها من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، ويجسد قلق الفرد الغربي ، وغربته الروحية ، وبحثه عن الخلاص في دروب معتمة ، كما يجسد اعتداده بحضارته ومنجزاتها المادية ، وسخريته من الفكر الشيوعي ، ويشنع على النظم الشيوعية أنها تخنق الحريات وتستعبد الشعوب .

ثالثا : أنه أصبح أداة مهمة من أدوات الغزو الفكري ، فالكتلتان تجتهدان في نشر آدابهما - ولا سيما التي تبرز الجانب الإيجابي في حضارتهما - وفي ترجمته إلى لغات الشعوب الأخرى ،، وتشجع دراسيه من تلك الشعوب ، وتغريهم بالمنح والجوائز والكراسي الجامعية والمؤتمرات الأدبية . . إلى آخر الوسائل الذكية ، التي تضمن تسلل الأدب وانتشاره في الشعوب المغزوة . . فإذا فقدت آداب تلك الشعوب طوابعها الشخصية ولونها المحلي ، ولهثت وراء قيم فنية مستوردة ، تنازلت عن قسم من مقومات شخصيتها الأصيلة ، وأصبحت أكثر استعداداً للالتحاق بركب التبعية .

## رابعا : واقع الأدب في بلادنا :

تطور الأدب في بلادنا حديثا وتأثر بالعوامل السياسية والاجتماعية والثقافية ، وبالغزو الفكري الذي تتعرض له ، فالشعر ـ مثلا ـ بدأ تطوره بعودة حميدة إلى أصوله التراثية على يد ( البارودي ) وتلاميذه . وظهرت فيه الشخصية العربية الإسلامية صافية وأصيلة ، ولكن خريجي المدارس التبشيرية أمثال ( رزق الله حسون وخليل مطران وجبران خليل جبران ) وغيرهم نقلوا إليه بعض صفات الشعر الأوروبي الذي تثقفوا به ، فبدأ انعطاف مهم في مسار تطوره . ثم ( قام العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري ) بأول حركة أدبية مذهبية فيه ، وأسسوا تياراً رومانسياً ، أدخلوا به أدوات فنية وصوراً وقضايا مستعارة من الرومانسية الانكليزية ولكن أصالة هؤلاء الثلاثة واتصالهم القوي بالتراث حفظ شخصيتهم الأدبية من الضياع .

ثم جاءت بعدهم أجيال من الشعراء لم يكن لديهم اتصال عميق بالتراث ، وكانت ثقافتهم الأدبية الغربية أكبر من ثقافتهم العربية ، فاندفعوا وراء المذاهب الأدبية الغربية

بقوة . . ولم تمض سنوات قليلة ، حتى صار عدد من شعرائنا أتباعاً للرمزية الغربية ، أو الواقعية الاشتراكية ، أو البرناسية ، أو الرومانسية . . الخ . وصرنا نقرأ شعراً عربياً في ألفاظه غربيا في صوره وأفكاره ومشاهره . وشهدنا بعض الشعراء والنقاد يرفضون الأعمال الشعرية العربية لأنها تراث وحسب ، ويدعو بحماسة إلى تطبيق قواعد الشعر الغربي خطوة خطوة ، حتى وصل الأمر إلى الدعوة إلى الشعر المنثور .

والقصة ـ مثل آخر ـ أخذ قالبها الفني من الغرب أدباء رواد أمثال ( محمد حسين هيكل ومحمود تيمور ويحيى حقي ) . . وغيرهم ، وصاغوا بها قصصاً تظهر فيها ملامح الشخصية العربية الإسلامية . . وكان من الممكن أن تتطور وتتجاوز جوانب الضعف فيها لتبني لنا تياراً قصصياً أصيلاً ولكن تلاهم قصاصون فقدوا بعض هذه الملامح ، فأصبحت موضوعات قصصهم وشخصياتها متأثرة ـ إلى حد كبير ـ بموضوعات القصص الغربية وشخصياتها ، حتى ليجد القارىء بوضوح آثار ( البرتو مورافيا وإرنست همنغواي وألبير كامو وكافكا ) في قصص ( سهيل إدريس ويوسف الشاروني وإحسان عبد القدوس والطيب الصالح ) وغيرهم .

ويلاحظ دارس الأدب العربي الحديث ، أن هذا الأدب ـ بكل أجناسه ـ قد ازداد تأثراً بالمذاهب الأدبية الغربية منذ منتصف القرن العشرين الميلادي ، وتحول بعضه على يد « المتغربين » إلى دعوات فاجرة وهجوم شرس على العقيدة الإسلامية وتراثها ، وصار جهدا دؤوبا لتأصيل القيم الغربية في الفن والحياة ، ولم يقتصر التأثير على استعارة الأدوات الفنية أبداً ، بل امتد إلى الخلفيات الفكرية والفلسفية التي تصدر عنها المذاهب الأدبية الغربية ، وصدرت قصص ودواوين تحمل تصوراتها وتدعو إليها صراحة وضمنا .

كما توزع قسم من أدبنا بين المعسكرين الشرقي والغربي ، ووجدت الكتلة الشرقية أدباء يجسدون أفكارها ويدعون ـ من خلال أعمالهم الأدبية ـ إلى الالتحاق بها ، أمثال ( عبد الوهاب البياتي ومحمد الفيتوري وعبد الرحمن الخميس وعبد الرحمن الشرقاوي ومحمود درويش وتوفيق زياد وأحمد سليمان الأحمد ) وغيرهم ، ووجدت نقاداً يجتهدون في تثبيت الواقعية الاشتراكية ، أمثال ( محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس ورجاء النقاش وحسين مروة ومحمد مندور وعبد المنعم تليمة ) ووجدت الكتلة الغربية أبواقا تدعو بقوة إلى اعتناق

حضارتها وتقليد فنونها وآدائها أمثال : (أدونيس ويوسف الخال وسعيد عقل وغالي شكري ) . . وغيرهم .

بل إن النصرانية التي هزمت في بلادها ، وعزلت عن الحياة ، دخلت بفضل الغزو الفكري المكثف إلى انتاج عدد من أدبائنا ، أمثال : ( صلاح عبد الصبور وبدر شاكر السياب ) . . فضلا عن التيار الأدبي النصراني الذي يعمقه ( يوسف الخال وخليل حاوي وتوفيق صايغ ولويس عوض وغالي شكري ) . وقد خلف هذا التيار وذاك التأثر آثاراً كبيرة في الأدب المعاصر ، تظهرها الرموز النصرانية المتفشية في الشعر الحديث ، وقصص الإنجيل التي أصبحت مادة لعدد من الشعراء والقصاصين . .

وهكذا . . اختلطت الأصوات وتوزع قسم وافر من أدبنا المعاصر وراء المذاهب الأدبية الغربية ، وحمل أدواتها الفنية من جهة ، وقيمها وتصوراتها من جهة أخرى ، ففقد كثيراً من ملامح الشخصية العربية الإسلامية ، وتحول إلى حربة تهاجم الإسلام والمسلمين .

لذلك كله . . ولكي يكون للشعوب الإسلامية أدب

متميز ، يجسد الشخصية الإسلامية لألف مليون مسلم ينتشرون في رقع واسعة من العالم ، ولكي ينطلق أدبنا من عقيدتنا الإسلامية ، ويعبر عن تصوراتها ، ولكي يبرز مشاعرنا الانسانية الصادقة ، ولكي يشارك في واجب الدعوة إلى الله ، ولكي نحفظ أدباءنا وقراءهم من التمزق والجري وراء الشخصية الأدبية الغربية ، ولكي نحصنهم ضد الغزو الفكري الداهم والتبشير النصراني الخطير ، ولكي يكون للمسمين أدب جميل نظيف ينمي أذواقهم باتجاه صحيح ، ولكي نربي أبناءنا ، وأجيالنا المتوالية ، تربية سليمة من كل الجوانب ، لهذه الأسباب كلها . . نقول :

**إننا في حاجة إلى مذهب أدبي إسلامي . وعلينا أن نعمل جاهدين ـ على تأصيله وجعله المذهب الأدبي الأول في ساحتنا الأدبية .**

# الطريق إلى مذهب أدبي إسلامي

إذا كانت الحاجة ماسة ـ كما رأينا في الفصل السابق ـ إلى مذهب أدبي إسلامي ، فكيف الطريق إليه ؟ وهل نملك شيئا من زاد الطريق ؟ ألدينا وسائل بنائه ؟ وهل لنا أن نستفيد من تجارب الأدب الغربي ، على سبيل الخبرة والعبرة ؟

هذه الأسئلة ، وغيرها كثير ـ تلح على أذهان المتحمسين للأدب الإسلامي عادة ، ولكنها لم تجد بعد الإجابات الكافية .

ولاشك أن المهتمين بالأدب الاسلامي سيجدون ، عندما يبحثون هذا الموضوع بالجدية اللازمة ، طرقا شتى ، وربما تختلف الدروب والهدف واحد ، ولكن الطريق الأجدى ـ في ظني ـ هو الذي ينطلق من دراسة واعية لطبيعة « المذهب الأدبي » ومكوناته ، فالمذاهب الأدبية عامة ظواهر فنية تخضع

لنواميس محددة ، إذا وجدت في أي زمان ومكان وجد المذهب الأدبي واستوى . .

ولكي نفهم هذه النواميس يحسن بنا أن نتأمل مذاهب الأدب الغربي كيف نشأت ؟ وما مكوناتها الأساسية ، وما العوامل التي أسهمت في إنشائها ؟ فإذا استنبطنا هذه العوامل وتلك النواميس عكفنا عليها دراسة وتمحيصا ، فننظر هل يمكن أن نستفيد منها ؟ وهل لدينا ما يشبهها ؟ وهل الأدب الاسلامي الذي ندعو إلى بناء مذهبه يتواءم معها ؟

ومن البديهيات التي لا يجوز أن نغفل عنها : أن تجارب الآخرين مفيدة لهم ، ولمن يريد أن يستفيد منها . وإذا كانت الحكمة ضالة المؤمن فمن الطبيعي أن ننظر ونحن نخطط لمذهب أدبي إسلامي في المذاهب الأدبية التي ظهرت في العالم وندرس عوامل نشأتها وانتشارها ، وهل فيها بذور مشابهة لأغراسنا ؟ وما الذي يمكن أن نتعلمه من تجاربهم دون أن نقع في تقليد الضعفاء ، أو تعنت الجاهلين .

يلاحظ المدقق في المذاهب الأدبية الغربية أنها نشأت بفعل أربعة عوامل ، تكاملت وتعاونت على إفرازها وهي : ـ

أولا : ظهور فلسفة ، أو تيارات فكرية ، تحمل تصورات خاصة للحياة والانسان ، ولها مواقف متميزة من العلاقات البشرية وطريقة تنظيمها ، وتشكل هذه الفلسفة والتيارات خلفية فكرية للمذهب الأدبي تسبق ظهوره غالبا وتكون إحدى أسباب ولادته .

فالكلاسيكية سبقتها الفلسفة العقلية التي انتشرت في بداية عصر النهضة ، وكان لهذه الفلسفة تصورات تزاحم التصورات المسيحية السائدة ، فشجعت حركة الإلحاد ، وحولت مقاليد الإنسان من الغيب والقدر ـ كما هو في التصور النصراني الذي يثلث أو يوحّد ـ إلى العقل البشري . وجعلت ما يقدمه العقل من تشريعات وتنظيمات هو الحكم ، وأعطت منجزات الإنسان قبل المسيحية ـ اليونانية والرومانية ـ الأولوية ووجهت الباحثين إلى دراستها وتعظيمها ، لأنها إبداع إنساني لايستلهم تعاليم السماء ، وأصبح النظام العقلي هو الذي يدير قضايا الحياة كلها ، من السياسة ـ حيث الميكيافيلية ـ ، إلى الفنون والآداب ـ حيث يتحكم العقل بالعواطف البشرية ويضبطها ـ ولم تعد آراء الكنيسة

مسموعة ، ولم يعد الأدب الذي يستند إلى التصورات النصرانية « أدب العصور الوسطى » مقبولا لدى النقاد والجمهور .

والرومانسية سبقتها تيارات فلسفية تدعو إلى الحرية والفردية والتفلت من قيود العقل الصارمة ، كان ( فولتير وروسو ) من أعلامها ، وقد أثرت هذه الفلسفة في جوانب الحياة كلها ، فكثرت ثورات الشعوب الأوروبية وحروبها ، واتجه الاقتصاد إلى مزيد من « الاقتصاد الحر » وتحول الفن والأدب إلى الاهتمام بالعواطف الفردية ، وتمردا على النظم الكلاسيكية .

والأمر نفسه في المذاهب الأخرى ، تظهر فلسفة تحمل أفكارا وتصورات جديدة وتؤثر في جوانب الحياة كلها ، ويمتد التأثير إلى الأدب ، وتشكل التصورات الجديدة خلفية فكرية لمذهب جديد ، فالواقعية الاشتراكية استوت في الفن عامة ، والأدب خاصة ، بعد أن تمكنت الفلسفة الماركسية من أذهان عدد من المفكرين والفنانين والأدباء ، والوجودية صنعت مذهبها الأدبي من خلال الفلسفة الوجودية التي أسسها

ونشرها كل من ( هيدجر وسارتر ) وتلاميذهما . . وهكذا .

ثانيا : وجود ظروف تساعد على انتشار الفلسفة والتيارات الفكرية الجديدة وهذه الظروف هي مجموعة الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ولو عدنا إلى أمثلتنا السابقة لوجدنا أن الظروف المذكورة قد هيأت فرصة طيبة لانتشار مبادىء كل فلسفة أو تيار فكري أفرز مذهباً أدبياً . فالنزعة العقلية التي أفرزت الكلاسيكية انتشرت بما تهيأ لها من ظروف مساعدة ، وعلى رأسها النقمة على الكنيسة والضيق من تسلطها على الناس والحكام ، والنظام الإقطاعي الذي سام الناس خسفا وباركته الكنيسة ، وموقف رجال الدين الشائن من العلم والعلماء . . هذه العوامل كلها ساعدت على اقتناع الناس بالدعوة العقلية ، وبناء الحياة بمعزل عن الكنيسة ، وشجعتهم على الأخذ بالكلاسيكية منهجاً في جوانب الحياة كلها بما فيها الأدب .

والتيارات الفردية وفلسفاتها العاطفية انتشرت بفضل الظروف التي أحاطت بالغربيين في القرن التاسع عشر ، فقد كثرت الحروب واشتدت النزعة الاستعمارية ، وتوالت

الأزمات الاقتصادية والاضطرابات الاجتماعية ، وأصيب الفرد الغربي ـ ولا سيما الفرنسي الذي نضجت في بلاده الرومانسية ـ بموجات من خيبة الأمل واليأس ، وبدأ يفقد الثقة بالنظام العقلي الذي أنجبته الكلاسيكية وسبب له تلك الويلات ، وشعر بالحاجة إلا ملاذ عاطفي ، فأقبل على الفلسفات الفردية المتحررة ، وطبقها في ميادين حياته ، وعلى رأسها الفن والأدب ، حتى ليقال إن الرومانسية في الفن عامة والأدب خاصة وليدة ظروف القهر والإحباط .

وإذا تابعنا دراستنا للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ منتصف القرن الماضي حتى الآن ، فسنجد أن هذه الظروف قد أوجدت في الفرد الغربي استعداداً لقبول الفلسفات الواقعية ، والمارسكية والوجودية وفي مقدمتها الأزمات الاقتصادية الكبرى ، واضطرابات العمال ، وتفكك الأسرة الغربية ، وتردي الأخلاق والحربان العالميتان ، وموجات القلق والضياع والذهول التي أعقبتهما .

ثالثا : وجود أدباء يؤمنون بهذه الفلسفات ويستمدون تصوراتهم منها ، وينتجون أدباً يتأثر بها .

ومن المعروف أن المذهب الأدبي ليس مجموعة قواعد ونظريات بقدر ما هو مجموعة نصوص أدبية تأخذ بهذه القواعد ، وليس الأدب صياغة لأفكار فلسفية ، إنما هو تأثر بهذه الأفكار ، ونتائج تنصبّ على عناصر العمل الأدبي في المادة والأداة الفنية .

فالفلاسفة وأصحاب التيارات الفكرية والمذاهب الاجتماعية لا يصنعون مذهبا أدبيا ، ولابد من وجود أدباء يتأثرون بآراء الفلاسفة ، وبالتيارات الفكرية الجديدة ويؤمنون بها ، ثم يصدرون عنها في أدبهم .

فالكلاسيكية الأدبية ظهرت بفضل ( كورني وموليير وراسين ولافونتين وبوالو وفينلون ) . . الذين تأثروا بالنزعة العقلية من جهة ، وبالأدب اليوناني من جهة أخرى ، فأخذوا بقواعدهما وطبقوها في أعمالهم الأدبية .

والرومانسية الفرنسية ظهرت عندما ظهرت قصائد ( ستندال والفريد دي موسيه ولا مرتين وشاتوبريان ) ومسرحيات ( فيكتور هوجو ) . . وهؤلاء جميعا آمنوا بالمبادىء التي طرحتها الفلسفة الفردية ، وثاروا من خلال إنتاجهم

الأدبي على الكلاسيكية ومبادئها .

والرومانسية الانكليزية ظهرت بفضل قصائد ( وردز ورث ووليم بليك وكوليردج وشيللي ) . . التي جسدت النزعة الفردية ، والاهتمام الشديد بالعاطفة والوجدان والمذهب الواقعي الاشتراكي لم يظهر إلا بعد أن ظهر ( مكسيم جوركي وشولونوف ومايا كوفسكي وبابلونيرودا ) . . وآخرون اقتنعوا بالمبادىء الماركسية ، وأنتجوا أدبا يبرز قضاياها الرئيسية . .

والامر نفسه في جميع المذاهب الأدبية الأخرى ، حيث يتجسد المذهب على يد أدباء متأثرين بالفلسفة الجديدة ، وفي بعض الحالات كالسيريالية والوجودية ـ كان الفيلسوف صاحب المبادىء الجديدة هو الأديب الذي ينتج أدبا مغموسا بالفلسفة الجديدة ، ( فأندريه بريتون وسارتر ) كانا يكتبان المبادىء الفلسفية الجديدة لفلسفتها السريالية والوجودية ، ويطبقان هذه المبادىء في أعمالها الأدبية (الشعر عند بريتون والمسرح عند سارتر ) .

رابعا : وجود نقاد ودارسين يحللون الأعمال الأدبية ،

ويستنبطون منها أصول المذهب وقواعده ، ويجعلونها مقاييس لتقويم النصوص الأدبية التالية ، ويفسرون الأدب بموجبها ، ويتابعون الانتاج الأدبي الجديد .

فالكلاسيكية لم تتضح أصولها إلا بعد أن استخرج الدارسون أصولها من الأدب القديم ، ومن كتاب ( أرسطو ) والشروح التالية عليه . وقد طبق النقاد هذه الأصول في عصرهم وحاسبوا الأدباء عليها . . فلما تحولت القواعد الكلاسيكية إلى نظريات ساكنة ترقد في أعماق الكتب ، ولم يعد أحد من النقاد يقوم الأعمال الأدبية بها اعتبر المذهب ميتاً . وما تذكر الكلاسيكية إلا وتذكر أسماء عدد من النقاد الذي قننوا أصولها وطبقوا مبادئها في نقدهم وعُدّوا عناصر أساسية في وجودها ، وعلى رأسهم ( بوالو ) الشاعر الناقد ، وكتابه الشهير ( فن الشعر ) .

والرومانسية استكملت وجودها مذهباً أدبياً بفضل كتابات ( مدام دي ستايل ، وهربرت ريد ، وفيكتور هوجو ) النقدية .

والوجودية استوت مذهباً أدبياً من خلال كتابات ( سارتر )

عن الالتزام وتحليلاته الأدبية .

والواقعية الاشتراكية تأصلت بفضل كتابات (سوتشكوف وروجيه جارودي « قبل إسلامه » وأرنست فيشر وجورج لوكاتش ) . وغيرهم من النقاد .

وهكذا تستكمل المذاهب الأدبية وجودها بفضل جهود النقاد والدارسين الذي يستنبطون قواعدها ، ويظهرون هيكلها ، ويتابعون إنتاج أدبائها بالدرس والتحليل والتوجيه .

وطبيعي أن العوامل الأربعة التي ذكرناها تتعاون في إظهار المذهب الأدبي ، ولابد من وجودها جميعا ، وإذا غاب أحدها فقد المذهب الأدبي أحد عناصر وجوده .

وهذه العوامل تكاد تكون نواميس ثابتة لوجود المذهب الأدبي في أي زمان ومكان ، فإذا وجدت ، وأفرزت عطاءها المطلوب ، تشكل المذهب الأدبي واستكمل وجوده ، ما لم تكن هناك معوقات قسرية .

ولكي نسلك الطريق الصحيحة إلى بناء مذهب أدبي

إسلامي يحسن بنا أن نفتش عن هذه العوامل عندنا ، فإن وجدناها طرحنا السؤال التالي : هل تصلح هذه العوامل لنبني بها مذهبنا الأدبي الإسلامي ؟ فإن كانت صالحة بدأنا نبحث : كيف نبني بها مذهبنا ؟ وهل الطريق التي درجت عليها مذاهب الأدب الغربي صالحة لتدرج عليها خطوات مذهب أدبي إسلامي ؟ .

أما العامل الأول : الفلسفة والقيم الفكرية التي تشكل خلفية المذهب الأدبي ، وتمده بالتصورات اللازمة عن الكون والحياة والإنسان فما أحسب أن فلسفة في البشرية يمكن أن تقاس بالاسلام في ثراء قيمه ، وعظمة تصوراته وعمقها ، فالإسلام منهج متكامل للحياة ، وعطاؤه صالح لكل زمان ومكان ، وقيمه أبقى من الزمن نفسه ، وسوف أعرض جانبا من هذه التصورات في فصل لاحق إن شاء الله .

أما العامل الثاني : الظروف المناسبة لانتشار القيم الفكرية والمذهب الجديد ، فلا يخفى على أحد أن الظروف التي يعيشها العالم الإسلامي المعاصر تثبت بشكل قاطع حاجة المسلمين الماسة إلى استعادة شخصيتهم وأصالتهم وعزتهم

على المستويات الفردية والجماعية ، بل وحاجتهم المساة إلى بناء كيان ضخم يتناسب مع عظمة الإسلام نفسه .

إن الظروف الصعبة التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم ـ والتي عرضنا صورة خاطفة لها في الفصل السابق ـ هي خير دافع للمسلمين كي يتمسكوا بفكرهم الإسلامي ، ويصوغوا به جميع مذاهبهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأدبية .

فالشعور العام السائد لدى مسلمي هذا العصر هو أننا نعيش مرحلة تخلف وضعف ونسعى جاهدين للخروج منها ، ونواجه معوقات كثيرة يزرعها في طريقنا كل من يهمهم أن يبقى الإسلام ضعيفاً . والفرد المسلم يعاني من ضغوط هائلة تشعره أنه يعيش خارج عصره ، وتملؤه إحساساً بضرورة البحث عن أسلوب لتجديد كيانه وبناء شخصية عصرية قوية .

هذه الظروف القاسية ، وآثارها النفسية المرهقة هي أهم العوامل التي تدفعنا إلى البحث عن أسلوب يحقق الشخصية الجماعية ، ووجود مذهب أدبي إسلامي خطوة من خطوات

تحقيق هذه الشخصية .

وأما العامل الثالث : الأعمال الأدبية التي تكوّن هذا المذهب ، والتي ينتجها أدباء آمنوا بالقيم الفكرية التي ينتمي إليها المذهب الأدبي ، فأعتقد أن قسما وافرا منها موجود في أدبنا المعاصر ، وقسم آخر في تاريخنا الأدبي ، وأن الأدباء الملتزمين بالاسلام فكرا وسلوكا وأدبا موجودون أيضا في الساحة الأدبية المعاصرة ، وموجودون في تاريخنا الأدبي الطويل .

فمنذ أن تكوّن المجتمع المسلم في المدينة المنورة ، ظهرت آثار التصور الإسلامي في أدب شعراء الدعوة الإسلامية ، ( كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة ) ، واستمرت في العصور الأدبية اللاحقة بنسب متفاوتة وبدت في الخطابة بشكل أقوى ، ولم تغب عن أدبنا عامة في عصر من العصور .[1]

---

(١) انظر مثلا مجموعة : شعر الدعوة الإسلامية ، التي صدرت عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بإشراف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ، وحوت الشعر الإسلامي الملتزم في العصر الراشدي ، والأموي والعباسي الأول والعباسي الثاني . .

وعندما جاء العصر الحديث ، وحمل إلى المسلمين أعنف صدمة تواجههم في تاريخهم صدمة إخراج الإسلام من دائرة الحياة اليومية للمسلمين ، وإذلال الشعوب الإسلامية وجعلها تابعة لقوى عالمية غير إسلامية ، تفجرت مشاعر الأدباء الإسلاميين ، وتوزعت شظاياها في أعمال أدبية شعرية ونثرية كثيرة ومتفرقة في جميع البلاد العربية والإسلامية ، غير أن محاولات طمس معالم الشخصية الإسلامية طاردت هذه الأعمال ، وألقتها خلف دائرة الضوء ، وملأت ساحة الأدب بانتاج لايبرز شيئا من هذه المشاعر ، بل وشجعت الأدب الذي يشوه القيم الإسلامية ويعتدي عليها ، والأدب الذي يرتبط بالقيم الغربية وتصوراتها ، لتعمق آثار الأدب الغربي فينا ، ولتأصل وتثبت كل اتجاه يخالف الاتجاه الإسلامي .

وعلى الرغم من ذلك كله ، فإن الأعمال الأدبية الإسلامية أثبتت وجودها وصدرت دواوين شعرية وقصص ومسرحيات تعالج قضايا الحياة الاجتماعية والسياسية برؤية إسلامية صافية ، وكان بعضها على جانب كبير من الجودة الفنية ، وكان بعضها الآخر يستخدم أحدث الأطر الفنية لمعالجة قضاياه .

إذن . . لا تعوزنا النصوص الأدبية التي تشكل المذهب الأدبي وتحمل صفاته وخصائصه ، ولا ينقصنا الأدباء الذين يلتزمون بالاسلام في فكرهم وسلوكهم وأدبهم ، ويعالجون في أعمالهم الأدبية - شعرا ونثرا - قضايا عقدية وقضايا الحياة اليومية برؤية عقدية . فالأدباء الإسلاميون ، وإنتاجهم الأدبي الإسلامي ، موجودون ومتوزعون في أنحاء العالم العربي والإسلامي ، يؤذيهم الإهمال المتعمد ، ويقلل من أثرهم في ساحة الأدب ضعف إمكانات النشر لديهم ، وقلة اكتراث دور النشر بهم ، وإعراض الأجهزة الرسمية - في معظم الدول العربية - عنهم . . وطبيعي أن هذه المعوقات تسبب صعوبات كثيرة وتخنق مواهب كثيرة ، لو فتحت لها المجالات لظهر فيها الأديب الفذ الذي يهز ساحة الأدب . . وليس ( محمد اقبال ) ببعيد عنا .

وأما العامل الرابع : وجود الدارسين والنقاد الذي يعكفون على النصوص ويستنبطون منها القواعد ، ويتابعون الانتاج ، ويطبقون المقاييس ، ويبنون هيكل المذهب الخارجي . . هذا العامل هو أحد مشكلات الأدب الإسلامي فهؤلاء الدارسون قليلون جداً ، والنقاد الذين يريدون أن

يؤصلوا المذهب الأدبي الإسلامي أقل منهم ، وإلى عهد قريب ، لم نكن نجد ناقدا واحدا يكتب برؤية إسلامية ملتزمة ، أو يطبق مقاييس إسلامية في نقده .

ولكن . . وفي السنوات القليلة الماضية بدأ عدد من النقاد والدارسين يهتمون بالأدب الإسلامي في البلاد العربية ، ويتحدثون عن ضرورة الوصول إلى صياغة متكاملة لنظريته ومنهجه ، ويتتبعون في بعض الأعمال الأدبية الإسلامية قيمه الفنية ، ويستبنطون بعض قواعده النقدية أو يقترحونها . وتعد أعمالهم اللبنة الأولى في هذا البناء .[1] فالحاجة ماسة

---

(١) من الدراسات التي ظهرت حول الأدب الإسلامي وقضاياه الكتب التالية : ـ

١ ـ منهج الفن الاسلامي . . محمد قطب .

٢ ـ في التاريخ ـ منهاج وفكرة سيد قطب

٣ ـ الإسلامية والمذاهب الأدبية د. نجيب الكيلاني

٤ ـ في النقد الإسلامي المعاصر د. عماد الدين خليل

٥ ـ الطبيعة في الفن الغربي والاسلامي د. عمان الدين خليل

٧ ـ فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر د. عماد الدين خليل

٧ ـ محاولات جديدة في النقد الاسلامي د. عماد الدين خليل

إلى عـدد أكبر من النقـاد والدارسـين ، وإلى قـدر أوفى من الكتابات النقدية التـطبيقية والتنـظيريـة لينمو مـذهب أدبي إسلامي ويأخذ مكانه في حياتنا الأدبية .

نخلص من كل ما سبق إلى أن الطريق إلى مذهب أدبي إسلامي تقتضي ما يلي :ـ

أولا : أن يتجـه الأدباء والنقـاد إلى العقيدة الإسـلاميـة ويتشبعـوا بها ، ويجعلوهـا المصدر الـوحيد لتصـوراتهم عن

---

٨ ـ في الأدب الاسلامي المعاصر : محمد حسن بريغش
٩ .. الأدب الاسلامي قضية وبناء : د. سعد أبو الرضا
١٠ ـ الأدب في خدمة الحياة والعقيدة • عبدالله أحمد العويشق
١١ ـ الشعر في موكب الدعوة : د. صادق عبد الحليم
١٢ ـ سلسلة دراسات في الأدب الاسلامي ونقده وتضم حتى تاريخ إعداد هذا الكتاب : ـ
١ ـ الواقعية الاسلامية في الأدب والنقد : د. أحمد بسام ساعي
٢ ـ من قضايا الأدب الاسلامي : د. صالح آدم بيلو
٣ ـ نصوص من أدب الحروب الصليبية : د. عمر الساريسي
٤ ـ مقدمة في دراسة الأدب الاسلامي : د. مصطفى عليان
٥ ـ مقدمة لمنهج الأدب الاسلامي : د. عبد الباسط بدر .

الألوهية والحياة والانسان والكون . فيتحررون من التبعية الفكرية للفلسفات الغربية وتياراتها الفكرية المضطربة ، ويرتبطون بالاسلام وحده ويخلصون الولاء له . وهذا هو الشرط الأول لولادة مذهب أدبي إسلامي بالمعنى الكامل ، فالأديب أو الناقد الذي يستمد تصوراته من الإسلام وحده سيحكم على أي شيء بحكم الإسلام ، وستكون مواقفه كلها إسلامية وسيجعل قضايا المسلمين المعاصرة همه الأول ، ويعالجها برؤية صافية وصادقة .

ولا يعني هذا حرمان الأديب أو الناقد من الاطلاع على الآداب الغربية ومذاهبها ، ولا منعه من الاستفادة مما يمكن أن يستفيده من أساليبها الفنية . فالثقافة حاجة أساسية وحاجة الأديب والناقد إليها كبيرة ، والاطلاع على الآداب العالمية - أيا كان لونها وطعمها - أمر ضروري للمثقفين عامة وللأدباء والنقاد خاصة .

ولكن شتان ما بين الاطلاع أو الاستفادة من أدوات فنية وقضايا لا تتعارض مع عقيدتنا وشخصيتنا والتبعية لمذهب أدبي غربي . ففي الحالة الثانية يكون الأديب مرددا أو مقلدا ،

لمقولات فكرية وعقدية تتعارض مع قيمنا الإسلامية . وأبسط مثال للفرق بين الحالتين يمكن أن نراه في أديبين يطلعان على الواقعية الاشتراكية ـ مثلا ـ فيستفيد أحدهما من بساطة التعبير وسهولته ، دون أن يعتنق شيئاً من القضايا الفكرية التي تدعو إليها الواقعية الاشتراكية ، بينما يتبنى الآخر مفهوم الصراع الطبقي ، أو الدعوة إلى ثورة اشتراكية . .

ثانيا : تشجيع الأدباء الناشئين الذين يصدرون عن تصورات إسلامية ، ورعايتهم ومتابعة إنتاجهم بالتوجيه والنقد ، ومساعدتهم على تطوير أدواتهم الفنية وتجسيد قضايا المسلمين المعاصرة بأفضل أسلوب أدبي ممكن .

ثالثا : تشجيع دارسي الأدب الإسلامي ونقاده ، وتوجيه أصحاب الملكات النقدية من الناشئين إلى تنمية أذواقهم وثقافاتهم النقدية ، وتعميق صلاتهم بالتراث النقدي من جهة ، وبالحركة النقدية المتطورة في العالم من جهة أخرى . . والعمل على إظهار الدارس الإسلامي الماهر والناقد الإسلامي المبدع .

وللجامعات الإسلامية دور كبير تقوم به في هذا الميدان

وذلك بأن توجه مناهج الدراسة الأدبية والنقدية فيها وجهة إسلامية واعية ، وتشجع الـدراسات والبحـوث المنهجية في الأدب الإسلامي ونظريته ، وترعى الطلاب الموهوبين وتقدم لهم فرص الدراسة العليا في قضايا الأدب الإسلامي .

كما أن للصحف والمجلات الإسلامية دوراً مهما يمكن أن تنهض به أيضا وذلك بأن تخصص بعض الصفحات والملاحق لـلأدب الإسـلامي وقضـايـاه ، وتستكتب الأدبـاء والنقـاد والباحثين فيه .

رابعا : الاهتمام بـالأعمال الأدبيـة الإسلاميـة في آداب الشعـوب الإسلاميـة كافـة وتـرجمتهـا إلى لغـات الشعـوب الإسلامية المختلفة ، وإظهار الخصائص الفكرية والعقديـة المشتـركـة فيهـا . وإنشـاء مكتبـة أدبيـة لآداب الشعــوب الإسلامية ، وستعين هذه المكتبة على توجيه دراسات الأدب المقارن إلى آداب الشعوب الإسلامية وستضع بين أيدي القراء المسلمين أعمالا أدبية إسلامية لها طوابع عامة مشتركة ، تؤكد أن القضية الإسلاميـة مشتركـة بين المسلمـين عامـة ، وأن الشخصية الإسلامية عالمية تتجاوز حدود اللغة والقوميات ،

وأن الأدباء الاسلاميين في الأقطار الإسلامية كلها مثل ( محمد إقبال وشوقي ومحمد عاكف ونجيب فاضل وعمر بهاء الأميري ومحمود غنيم ونجيب الكيلاني ) يعالجون قضايا مشتركة بإحساسات متجانسة وتصورات متطابقة ، وأن أدبهم إسلامي سُواء أكتب باللغة العربية أو ترجم إليها . . .

# المصادر والمراجع


● د. إحسان عباس فن الشعر دار بيروت للطباعة د. ت. .

● ارنست فيشر . الاشتراكية والفن . ترجمة أسعد حليم . دار القلم . بيروت ١٩٧٣ .

● بو علي ياسين نبيل سليمان . الأدب والإيديولوجيا في سورية ، دار ابن خلدون بيروت ١٩٧٤ .

● جان بول سارتر ، ما الأدب . ترجمة د. محمد غنيمي هلال . مكتبة الانجلو ١٩٧١ .

● جورج لوكاتش . دراسات في الواقعية الأوروبية ترجمة أمين الاسكندر . القاهرة ١٩٧٣ .

● جورج لوكاتش معنى الواقعية المعاصرة ترجمة د. أمين العيوطي دار المعارف بمصر ٧١ .

● حسام الخطيب الأدب الأوربي تطوره ونشأة مذاهبه مكتبة أطلس دمشق ١٩٧٢ .

● ديمن كرانت الواقعية . ترجمة د. عبد ا  احد لؤلؤة دار الرشيد بغداد ١٩٨٠م .
● رزو نتال شعراء المدرسة الحديثة ترجمة جميل الحسيني المكتبة الأهلية بيروت ١٩٦٣ .
● عباس خضر ، الواقعية في الأدب دار الجمهورية بغداد ١٩٦٧م .
● د. عبد الغفار مكاوي ثورة الشعر الحديث جزءان الهيئة المصرية العامة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤م .
● د. عبد الفتاح الديدي أدبنا والاتجاهات العالمية الدار القومية القاهرة ١٩٦٦م .
● د. عز الدين اسماعيل ، الأدب وفنونه ط٧ دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧٨م .
● د. محمد عبد المنعم خفاجي دراسات في الأدب المقارن دار الطباعة المحمدية بالأزهر د.ت. .
● د. محمد غنيمي هلال : الرومانيكية دار نهضة مصر ١٩٧١م .
● د. محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن دار نهضة مصر ١٩٧١ .

● د. محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر د.ت.
● د. محمد غنيمي هلال قضايا معاصرة في الأدب والنقد دار نهضة مصر د.ت.

● د. محمد مندور الأدب ومذاهبه دار نهضة مصر د.ت.
● د. محمد مندور في الأدب والنقد دار نهضة مصر ٩٤٩ .
● د. محمود الربيعي في نقد الشعر دار المعارف بمصر ١٩٧٥ .
● فان تيغم الرومانطيقية ترجمة بهيج شعبان دار بيروت ٩٥٦
● فان تيغم المذاهب الأدبية الكبرى ترجمة فريد انطونيوس مكتبة عويدات ١٩٨٠ .
● نبيل راغب مدارس الأدب العالمي الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ .

## بالانجليزية


Charles Chadwick - Symbolism Great Britain Bristol represented 1978

Damian Grant - Realism - Great Britain represented 1978

Kuhars Richard - Literature and Philosophy, Routeldge & Kegan pall London 1971

Lilian R. Furst Ramanticism, Cambridge University Press Represented 1978

Prawar S.S. Karl Marx and World Literature OXxford University Press 1976.

Prickett, Steephen, Romanticism and religion Cambridge University 1976.

Stomberg Ronald Edi. Realism, Naturalism and Symbolism Harper and Row. U.S.A. 1968.

# فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

**صدر من**
**هذه السلسلة**

المذاهب الفقهية - أ.د. محمد فوزي فيض الله
في التعبئة الإسلامية - الشيخ محمود الحامد
فقه النساء «الطهارة» - الشيخ عبدالوهاب طويلة
نظرات في القرن السالف - د. أحمد محمد الخراط
الإعلام والبيت المسلم - الأستاذ فهمي قطب الدين النجار

**قالوا في هذه السلسلة**

... تلك خطوة مباركة وطيبة أرجو لها التوفيق والسداد إن شاء الله تعالى في إغناء وإثراء مكتبة البيت بكل ما هو نافع ومفيد للدين والدنيا معا .

الشيخ محمد محمود الصواف
رابطة العالم الاسلامي - مكة المكرمة

الكتاب القادم :

ضبط لفظ القرآن ومعناه للأستاذ الدكتور :

محمد رواس قلعه جي